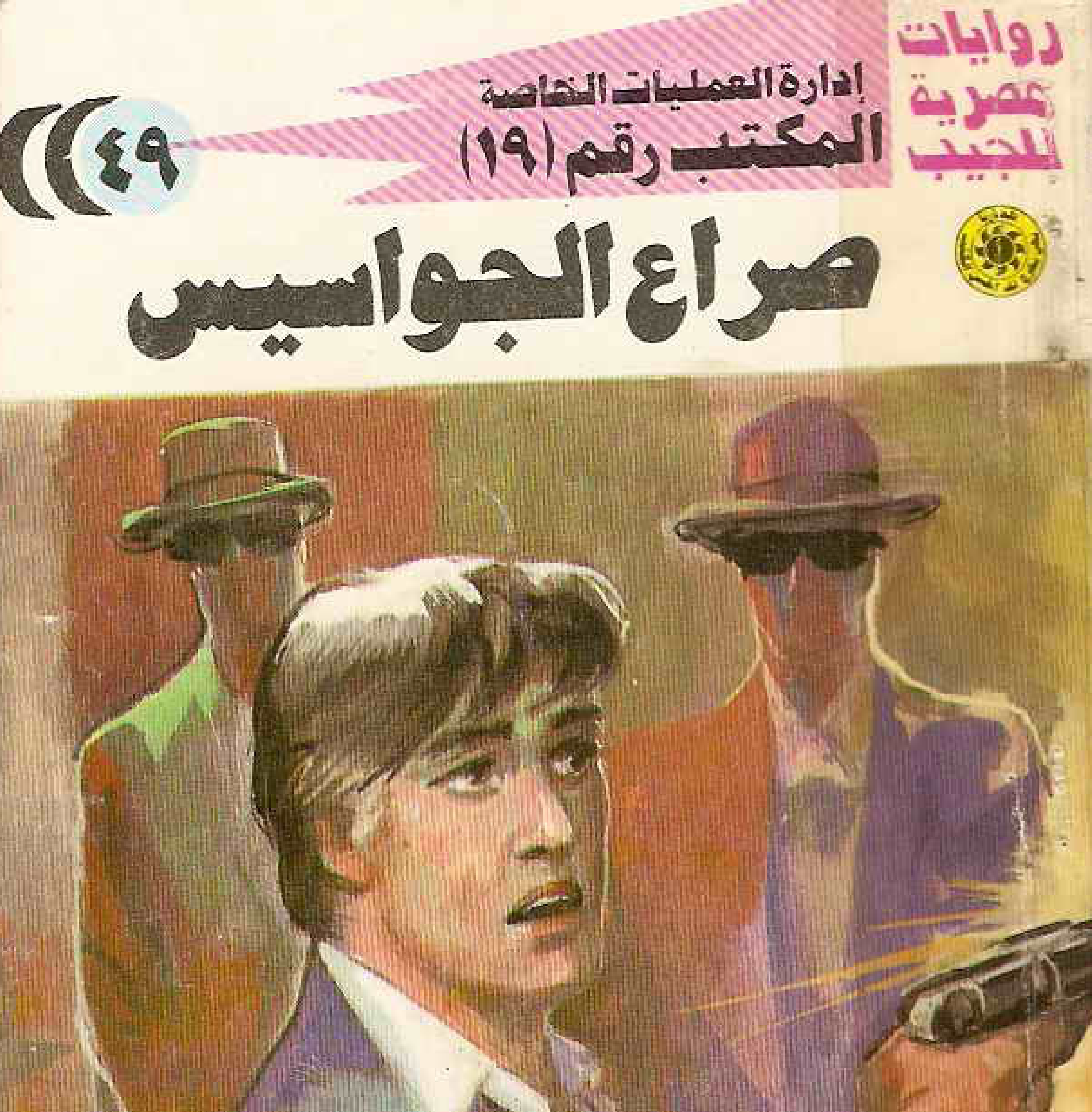


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ سرّ الجاسوس ..

هبط المساء على مطعم (كامينو) ، الرابض فوق مدرَّج جبلي مرتفع ، يزخر بالأعشاب الخضراء وأحواض الزهور ، الموزَّعة فى تنسيق بديع ، وجلس داخل المطعم رجلان ، حول مائدة صغيرة ، يراقبان شخصًا نحيلًا ، طويل القامة ، زائغ البصر ، عَبْرَ رَدهة المطعم فى توتُّر ، قبل أن يستقرَّ على مائدة غير بعيدة عن مائدتهما ، فالتفت أحد الرجلين إلى زميله ، وقال :

ـ لقد حضر قبل موعده بعشر دقائق .

كان المتحدِّث بدينًا ، أصلع الرأس ، فى حين كان زميله قصيرًا ، كثَّ الشعر ، حادَّ القسمات ، وبدَت قسماته أكثر حدَّة ، وهو يقول :

ـ إنه يتأكَّد من عدم وجود مراقبة ، حاول أن تتجاهله ، حتى لا تثير شكوكه .

حضر الساقى ليضع أمام الرجلين كأسين من الشراب ، وهو يهمس :

ـــ لقد وضعت جهاز الإرسال الصغير أسفل مائدة صديقكما .

بدت علامات الرضا على وجه القصير ، وهو يهمس بدوره :

ـــ حسنًا يا (أميلدو) .. لقد قمت بدورك كما ينبغى .

انصرف الساق على الفور ، فى حين بدأ الأصلع تشغيل جهاز استقبال دقيق ، مثبّت بين الزهور الموضوعة على المائدة ، وقال القصير ، وهو يتطلّع إلى المدخل :

ـــ ها هو ذا أحد رجال السفارة المصرية .. معلوماتنا صحيحة إذن .

اتجه رجل السفارة المصرية نحو مائدة النحيل ، الذى استقبله قائلًا فى توتُّر :

ـــ لو تأخرت خمس دقائق فقط ما وجدتنى .

جلس رجل السفارة ، وهو يقول بلا حماس :

ـــ الواقع أننا لم نكن نتلهّف كثيرًا لمقابلتك يا سنيور (أنطونيونى) ، فمعلوماتنا عنك قاصرة ، وكنّا نفضّل أن نلتقى فى السفارة .

حاول النحيل أن يبدو متماسكًا ، وهو يقول :

ـــ قلت لك إن هذا مستحيل ، فالمخابرات الأسترتانية تراقب سفارتكم دائمًا ، وأنا أعلم هذا بصفتى أحد رجال المخابرات الأسترتانية .

سأله مندوب السفارة المصرية فى شكّ :

ـــ أأنت أسترتانى ؟

أجابه (أنطونيونى) :

ـــ بل إيطالى ، ولكننى أعمل فى خدمة المخابرات الأسترتانية ، منذ خمس سنوات .

مندوب السفارة :

ـــ أنت أحد جواسيسهم إذن .

أنطونيونى :

ـــ نعم .

مندوب السفارة :

ـــ حسنًا .. ما المطلوب منّا بالضبط ؟

أنطونيونى :

ـــ أنتم تحتاجون إلىّ ، كما أخبرتك هاتفيًا .

سأله مندوب السفارة فى استخفاف :

ـــ ولماذا نحتاج إليك ، فى رأيك ؟

تلفَّت (أنطونيونى) حوله فى حَذَر ، ثم همس :

ــ إننى أعرف اسم أخطر جاسوس للمخابرات الأسترتانية فى دولتك ، خلال العشرين عامًا الماضية .

مندوب السفارة :

ــ أتعْنى أن لـ(أسترتان) عميلًا داخل (مصر) ؟

هزَّ (أنطونيونى) رأسه معترضًا ، وقال :

ــ ليس مجرَّد عميل عادى .. إنه يتبوَّأ منصبًا ممتازًا ، فى موقع استراتيجى هام فى دولتكم ، وهو يرسل معلومات بالغة الخطورة عن موقعه ، وعن دولتكم ، طوال العامين الماضيين فى انتظام .

وعلى الرغم من اهتمام مندوب السفارة المصرية الشديد بهذا الخبر ، إلا أنه ظل هادئًا ، وهو يقول :

ــ أأنت واثق مما تقول ؟

ابتسم (أنطونيونى) ، قائلًا :

ــ تمام الثقة ؛ لسبب بسيط ، وهو أننى كنت المسئول عن الاتصال بالعميل ، فى المرَّات التى حضر فيها إلى (روما) .

مندوب السفارة :

ــ ولماذا تبلغنا هذا الآن ؟

تراجع (أنطونيونى) بظهره ، قائلًا :

ــ جاسوس بالغ الخطورة كهذا ، سيثير اهتمام المسئولين بـ (القاهرة) كثيرًا ، ويمكننى أن أتخيَّل ــ من الآن ــ اللهفة التى سترتسم على وجوه رجال المخابرات المصرية ؛ لمعرفة اسم العميل ، الذى لن يمكنكم كشف أمره قطُّ ، مهما حاولتم .

وعاد ينحنى نحو مندوب السفارة ، ويضغط حروف كلماته ، مستطردًا :

ــ أنا وحدى يمكننى منحكم اسم الجاسوس .. أعلمت الآن لماذا تحتاجون إلىَّ ؟

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يقول مندوب السفارة :

ــ أترغب فى لعب دور العميل المزدوج ؟.. ما المقابل الذى تنشده إذن ، لمنحنا الاسم ؟

ابتسم (أنطونيونى) ، وهو يتراجع مرَّة أخرى ، قائلًا :

ــ أخطأت أيها المصرى .. لست أرغب فى لعب دور العميل المزدوج ، ولا دور العميل على الإطلاق .. سأعمل لحساب نفسى هذه المرَّة .. لقد قرَّرت هجر لُعبة الجاسوسية هذه ، فهى شاقة قاسية ، تصيب المرء منَّا بالتوتُّر والقلق

الدائم ، ثم إن عائدها ليس مجزيًا ، كما يتصوَّر البعض .. إننى أنشد حياة هادئة ناعمة ، فى جزيرة بعيدة ؛ لذا فسأخوض مخاطرة أخيرة ، وألعب دور الخائن ، وأمنحكم اسم أهم جواسيس (أسترتان) لديكم ، مقابل مليونين من الدولارات فحسب .

ردَّد مندوب السفارة فى دهشة :

ـــ مليونان من الدولارات ؟!

ظلت ابتسامة (أنطونيونى) تزيِّن وجهه ، وهو يقول :

ـــ مبلغ زهيد .. أليس كذلك ؟

بدت علامات الرفض على وجه مندوب السفارة ، وهو يقول :

ـــ كيف تنتظر منَّا منحك مثل هذا المبلغ الضخم ، دون أن نتيقَّن من صحة معلوماتك ؟

أجابه (أنطونيونى) فى ثقة :

ـــ استشر رؤساءك أوَّلًا ، قبل أن ترفض أو تقبل عرضى ، أما بالنسبة للتيقُّن من صحة أقوالى ، فيمكنك أن تحمل هذه الأوراق إلى رؤسائك ، وفيها ستجد ما يثبت عملى لحساب المخابرات الأسترتانية ، برتبة (ميجور) ، وبعض الصور

الضوئية لى ، مع (جون ليفى) ، مدير المخابرات الأسترتانية ، وهم يعرفونه جيِّدًا ، ولقد تمَّ اللقاء بينى وبينه منذ ثمانية أشهر فى (أسترتان) ، وهناك صورة لإحدى صفحات واحد من مشروعاتكم الحربية السرِّيَّة ، لإنتاج قاذفة قنابل مصرية متطوِّرة ، تحمل اسم (الصاعق) ، وهذا المشروع الأخير يتم تنفيذه فى مصنع سرِّى ، فى الصحراء الغربية المصرية ، ويحاط بأقصى درجات السرِّيَّة ، ولكن كل وثائقه نقلها الجاسوس منذ عدة أشهر إلى (أسترتان) ، حيث تم وضع مشروع وسيلة دفاع جوِّى متطوِّرة ، لمواجهة قاذفة قنابلكم .

بدا القلق والاهتمام على وجه مندوب السفارة المصرية ، وهو يطالع الصور والأوراق ، ثم قال :

ـــ لو صحَّ هذا ، فإن هذا الجاسوس بالغ الخطورة ، بالنسبة لأمننا القومى .

قال (أنطونيونى) فى حسم هذه المرَّة :

ـــ سأنتظر جوابكم خلال ثلاثة أيام على الأكثر .. إما أن أحصل على المليونى دولار ، أو يبقى اسم الجاسوس فى طىِّ الكتمان إلى الأبد .

قال مندوب السفارة :

ــ ألا تخشى أن تشكِّل هذه الصور والأوراق خطرًا مستقبليًا بالنسبة لك ، لو أننا لم نقبل عرضك ؟

ابتسم (أنطونيونى) فى سُخرية ، قائلًا :

ــ قلت لك ــ منذ البداية ــ إننى قد قرَّرت خوض المعركة ، بكل ما تحمله من مخاطر ، حتى لو دفعت حياتى ثمنًا لذلك ، ولكننى واثق من أن خسارتكم ستكون أكثر فداحة ، لو رفضت عرضى .

ونهض واقفًا ، وهو يستطرد :

ــ موعدنا بعد ثلاثة أيام ، وأنا الذى سيحدِّد وسيلة الاتصال ، وأسلـــوب تسليم المبلـــغ ، والحصول على المعلومات .. والآن وداعًا .

ودون أن ينتظر ردًّا من المصرى ، أسرع يغادر المكان فى خطوات واسعة ، فى حين أغلق البدين ، على المائدة الأخرى ، جهاز الاستقبال ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ــ يا للوغد !! يجب أن يدفع ثمن خيانته .. لماذا لا تدعنى ألحق به ، وأقتله ؟

أجابه القصير فى تجهُّم :

ــ الأوامر الصادرة لنا من (أسترتان) ، تقضى بمراقبته فقط ، وليس قتله .

تزايد انفعال الأصلع ، وهو يقول :

ــ فى مثل هذه الحالات ، لا يحتاج الأمر إلى تصريح بالقتل .. هذا الرجل خائن ،يُوشك أن يكشف سرّ أخطر عملائنا فى (مصر) ، ومن الضرورى أن نعمل على إغلاق فمه بأقصى سرعة .

نهض القصير ، وهو يزفر ، قائلًا :

ــ أنت تعلم أنه لا يحق لنا أبدًا التصرُّف من تلقاء أنفسنا .. دَعْنَا ننقل ما لدينا من معلومات إلى قيادة المخابرات فى (أسترتان) على الفور ، ولننتظر أوامرهم فى هذا الشأن .

قبل أن يغادر الاثنان المكان ، حمل إليهما الساق جهاز الإرسال الصغير ، الذى دسَّه من قبل ، أسفل مائـــدة (أنطونيونى) ، ثم انطلقا إلى هدفهما ..

وبدأ الصراع ..

* * *

توقَّفت سيارة زرقاء صغيرة عند ناصية شارع كبير ، وجلس أمام عجلة قيادتها ذلك القصير الحادّ القسمات ، وإلى جواره رجل عريض المنكبين، له شارب رفيع، وعينان ضيقتان ، وأسنان بارزة غير متناسقة ، فى حين جلس الأصلع

البدين فى المقعد الخلفى ، وقد راح الثلاثة يراقبون مدخل أحد المنازل فى عناية واهتمام بالغين ، وأشار عريض المنكبين إلى سيارة حمراء ، تقف على بعد عشرة أمتار ، وجلس داخلها رجلان يراقبان المدخل بدورهما ، وقال :

— إنهم يراقبونه أيضًا .

سأله القصير :

— من هم ؟

أجابه عريض المنكبين :

— المصريون .. لقد تعرَّفت اثنين من رجال مخابراتهم ، فى هذه السيارة الحمراء .

قال القصير :

— إنهم لا يطمئنون إليه إذن .

أجابه الرجل :

— أو أنهم يحاولون الاطمئنان عليه أوَّلًا .. لقد تحرَّكوا فى سرعة ، وهم يدرسون الموقف فى (القاهرة) ، وربما يحاولون كشف أمر عميلنا لديهم ، قبل أن يحين موعد اللقاء مع (أنطونيولى) غدًا ، وحتى يتضح الأمر أمامهم ، فهم يراقبون (أنطونيولى) ، حتى لا يصاب بالضرر ، خشية أن

يضيع منهم اسم الجاسوس ، لو فشلوا فى التوصُّل إليه من تلقاء أنفسهم .

أشار القصير إلى سيارة أخرى رمادية ، تقف فى نهاية الطريق ، وقال وهو يراقب من بداخلها بمنظاره المقرِّب :

— وماذا عن هؤلاء ؟.. أيتبعون المخابرات المصرية أيضًا ؟

لم يحاول عريض المنكبين إلقاء نظرة واحدة على السيارة الرمادية ، وهو يقول :

— إنها واحدة من سياراتنا ، ومهمَّة رجالها هى اغتيال (أنطونيولى) أيضًا ، لو فشلنا نحن فى هذا ، أو ألقى القبض علينا قبلها .

قال البدين :

— لست أظننا سنحتاج إلى سيارة طوارئ ، فالعبوة الناسفة ، التى وضعتها فى سيارة (أنطونيولى) ستنفجر ، بعد دقيقتين فحسب من إشعال المحرِّك ، وقبل أن يتدخَّل المصريون لإنقاذ هذا الوغد .

هزَّ عريض المنكبين كتفيه ، وقال :

— لست أظنه سيستقلّ السيارة .

سأله البدين فى دهشة :

— ولماذا تعتقد هذا ؟

أجابه الرجل :

ـ فى مثل هذه الظروف سيتبع (أنطونيونى) أقصى درجات الحذر والحيطة ، فهو يعلم أن حياته مهدَّدة بالخطر ، منذ اتخذ قراره بخوض لعبة الخيانة ؛ لذا فسيحاول الابتعاد عن كل ما اعتاد استخدامه ، أو الأماكن التى ألف التردُّد عليها ، حتى محل إقامته ، و .....

قاطعه القصير ، وهو يهتف بغتة :

ـ ها هو ذا يغادر منزله .

اتجه (أنطونيونى) نحو سيارته ، وتوقَّف أمامها لحظة ، ثم أشار إلى واحدة من سيارات الأجرة ، وألقى نفسه داخلها ، فانطلقت به على الفور ، وابتسم عريض المنكبين ، قائلًا :

ـ ألم أقل لكما ؟

وانطلق بالسيارة خلف سيارة الأجرة ، وخلفه انطلقت سيارة المخابرات المصرية ، وخلفها سيارة المخابرات الأسترتانية ، الرمادية اللون ..

وبدا الأمر أشبه بقافلة ..

قافلة الموت ..

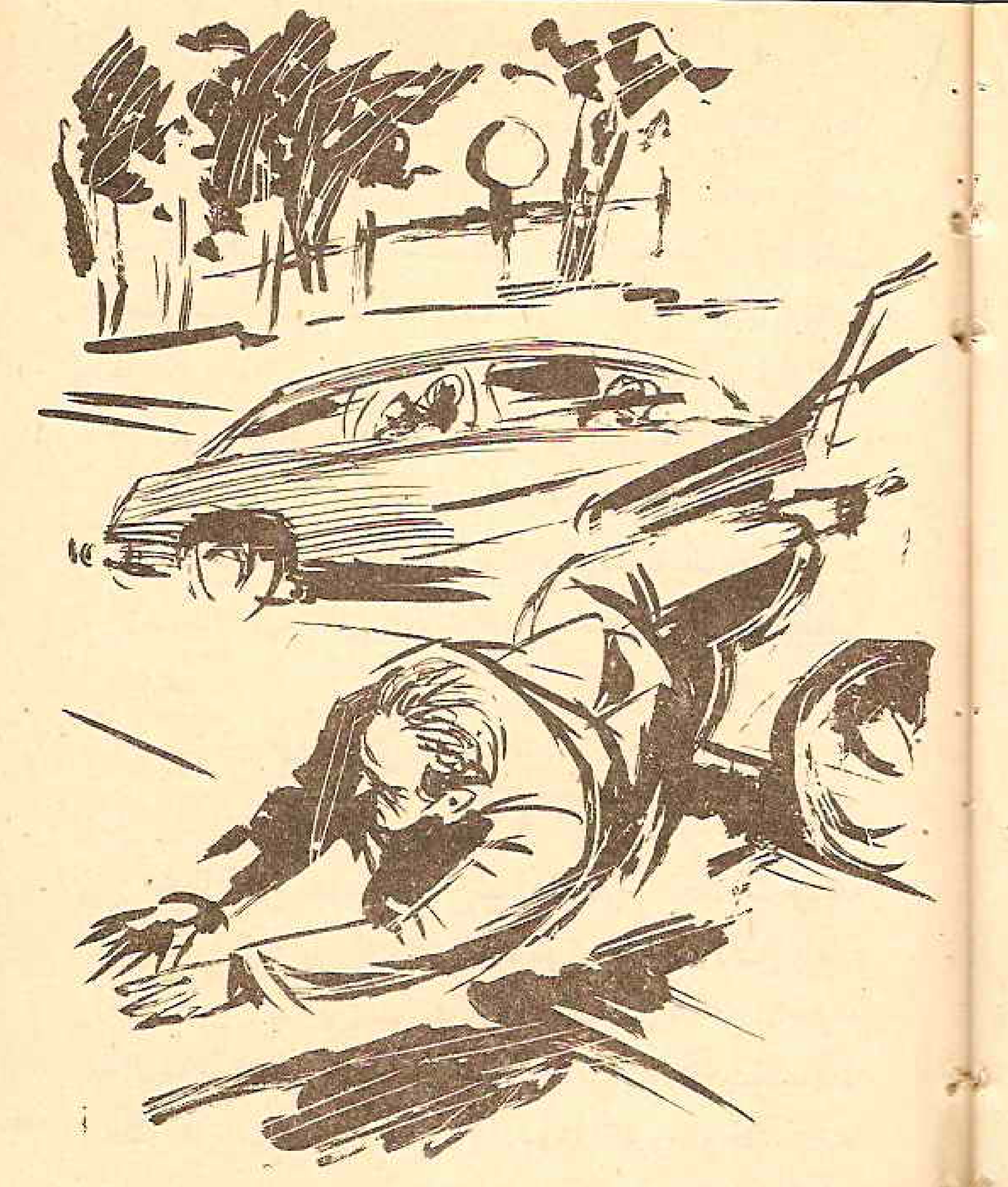
* * *

٢ ـ صراع الجواسيس ..

تجاوزت السيارة الزرقاء سيارة الأجرة ، التى يستقلّها (أنطونيونى) ، وعندما بلغت السيارتان طريقًا وسط المروج الخُضْر ، مال القصير بالسيارة الزرقاء ، معترضًا طريق سيارة الأجرة ، التى راح قائدها يطلق نفيرها مرَّات ومرَّات ، مطالبًا السيارة الزرقاء بأن تفسح له فى الطريق ، مما نبَّه (أنطونيونى) إلى حدوث أمر غير عادى ، فى نفس اللحظة التى هدَّأت السيارة الزرقاء فيها من سرعتها ، وأفسحت فى الطريق بعض الشىء لسيارة الأجرة ، التى زاد قائدها من سرعتها ، وَعَبَرَ الشريط الضيِّق ، الذى أفسحته له السيارة الزرقاء ، وهو يسبُّ ويلعن ، فى حين أخرس الموقف (أنطونيونى) تمامًا ، وقد تعرَّف عريض المنكبين ، الذى يجلس فى السيارة الزرقاء ..

لقد كان نفس الشخص ، الذى تولَّى تدريبه ، فى مخابرات أسترتان ، مما جعله يهتف فى رُعب :

ـ دانى ؟!



فى نفس اللحظة التى ضغط فيها البدين زناد بندقيته ، كان (أنطونيونى) يلقى نفسه خارج السيارة ، ويتدحرج على الأرض ..

لوّح له (دانى) ــ العريض المنكبين ــ بكفّه ، ووجهه يحمل ابتسامة صفراء ، تكشف عن أسنان بشعة ، وهو يقول :

ــ وداعًا يا (أنطونيونى) .

وفى نفس اللحظة ، برزت فُوّهة البندقية الآلية ، التى يحملها البدين ، من النافذة الخلفية للسيارة ، وصوّبتْ نحو رأس (أنطونيونى) تمامًا ..

ولكن غريزة الحياة كانت أقوى ..

فى نفس اللحظة التى ضغط فيها البدين زناد بندقيته ، كان (أنطونيونى) يلقى نفسه خارج السيارة ، ويتدحرج على الأرض فى عُنف ، والرصاصات تنهمر على السيارة وقائدها ، حتى انحرفت جانبًا فى حدّة ، وانقلبت رأسًا على عَقِب ، عند جانب الطريق ..

وتوقّفت السيّارة الزرقاء فى حدّة ، وقفز الرجال الثلاثة منها ، وقد حمل كل منهم سلاحه ، وانطلقوا يطاردون (أنطونيونى) ، الذى تحامل على نفسه ، وراح يعدُو بكل ما لديه من قوة ، على الرغم من الرضوض التى أصابت ساقيه وكتفيه ..

وغادر رجلا المخابرات المصرية سيارتهما بدورهما ، وهبَّا لإنقاذ (أنطونيونى) ، فى حين أطلق (دانى) رصاصة مُحْكَمة من مسدسه ، أصابت كتف (أنطونيونى) ، الذى أطلق صرخة ألم عالية ، وسقط على ركبتيه ، فصوّب البدين فُوَهة بندقيته إلى رأس الإيطالى ، وهمَّ بإطلاق النار ، لولا أن اخترقت رصاصة ، من مسدَّس أحد رجلى المخابرات المصرية ، رأسه الأصلع ، فسقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها السيارة الرمادية ، التابعة للمخابرات الأسترتانية ، وتعالى صوت أبواق سيارات شرطة إيطالية تقترب ..

وتحوّلت المنطقة إلى ساحة قتال ..

* * *

خطَا رجل رشيق القدّ ، أشيب الشعر ، بخُطُوات سريعة نشطة ، عَبْرَ الممر الرخامى الطويل ، لإدارة الأمن العام الإيطالية ، وبدا من سنوات عمره الخمسين ، ومن الاحترام والتبجيل اللذين يلقاهما من كل من يلتقى به ، أنه يتبوَّأ منصبًا هامًّا ، فى الشرطة الإيطالية ، وبدا هذا أكثر وضوحًا ، عندما دلف ـــ دون اعتراض من الحرَّاس ـــ إلى حجرة تحمل إشارة

إلى أهمية وخطورة منصب شاغلها ، الذى نهض يصافح الأشيب فى احترام بالغ ، ودعاه للجلوس على المقعد الوثير ، المواجه لمكتبه ، داخل الحجرة الفاخرة الأثاث والرِّياش ، وهو يقول :

ـــ لقد دعوتك بهذه السرعة يا سنيور (فرانكو) ، لما يبديه وزير الداخلية من اهتمام خاص بهذه القضية ، لكل ما يحيط بها من غموض وحساسية .

أجابه الأشيب ، فى لهجة رجل يثق فى نفسه وقُدراته كثيرًا :

ـــ لقد أمرت باتخاذ إجراءات عاجلة وسريعة ، فهناك قوة من اثنى عشر رجلًا ، تتولَّى حراسة المستشفى ، الذى يرقد فيه (أنطونيونى) ، وتتولَّى أيضًا تفتيش ومراقبة كل من يتردَّد على المستشفى ، والتحقُّق من شخصيته ، ويتم تبديل هذه القوة كل ثمانى ساعات ، لضمان اليقظة الدائمة لرجال الحراسة ، أما بالنسبة للأسترتانى ، فقد سلَّمته بنفسى لإدارة الأمن ، لمباشرة التحقيق معه ، ولدينا خمسة من القتلى .. مصريان وثلاثة أسترتانيين ، كما تؤكِّد جوازات سفرهم .

مطَّ الجالس خلف المكتب شفتيه ، وضمَّ أصابعه ، وشمله

الصمت لحظات ، وهو يستغرق فى تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قال :

ــ ارفع عدد رجال الحراسة إلى عشرين .. أريد مراقبة أكثر فاعلية فى المستشفى ، فمن الواضح أن الصراع كله يدور حول هذا الرجل (أنطونيونى) ، كما أريد تحرِّيات واسعة النطاق ، حول مجموعة الرجال ، الذين اشتبكوا فى هذه المعركة ، ومدى صحة جوازات سفرهم ، وتأشيرات دخولهم إلى البلاد ، والبحث عمَّا إذا كان لهم شركاء فى هذه البلاد أم لا .. والتحرِّى عن الجهات التى حصلوا منها على سياراتهم وأسلحتهم ، وعمَّا إذا كانت هناك جهات أخرى تمويلهم أم لا .. ولست أحتاج إلى أن أكرِّر لك يا سنيور (فرانكو) مدى أهمية وخطورة هذه القضية ، فمن المحتَّم أن بلادنا ، و (روما) بالذات ، هى ساحة القتال الجديدة ، فى ذلك الصراع التقليدى ، بين المخابرات المصرية والأسترتانية ، وينبغى فى هذه الحالة ألا نقف مكتوفى الأيدى ، وأن نستعد لمنع أيَّة معارك مستقبلية بين الطرفين ، على أرضنا ، ومن الواضح الآن أن هدف جهازى المخابرات ــ هذه المرَّة ــ هو (أنطونيونى) هذا ، ولكننا نجهل ما إذا كانوا يهدفون إلى قتله

أم اختطافه ، وأتعشَّم أن تكشف التحقيقات عن الهدف الحقيقى .

نهض (فرانكو) بقامته الممشوقة ، وقال :

ــ اطمئن يا سيادة مدير الأمن العام .. لن نفشل ، ما دمت أمسك هذه القضية فى قبضتى ، وَأعِدك أنه لن تُمسَّ شعرة واحدة من رأس ذلك الرجل (أنطونيونى) ، وأنا على قيد الحياة ..

وغادر المكان ، بنفس القوة والنشاط .. والحزم ..

* * *

ضغط (ممدوح عبد الوهاب) زرّ الجرس ، وانتظر فى صبر ، وهو واثق تمامًا من أن عينين حذرتين تختلسان النظر إليه ، من العين السحرية بالباب ، قبل أن يُفتح الباب ، وتظهر خلفه شقراء رائعة الجمال ، ذات قوام بديع ، ابتسمت فى إغراء ، وهى تمايل أمامه ، قائلة :

ــ معذرة أن جعلتك تنتظر بعض الوقت ، فلقد انصرفت الخادمة منذ ساعة .

ابتسم لها (ممدوح) بدوره ، وهمس وهو يتطلَّع إلى شعرها الأشقر ، وعينيها الزرقاوين :

ـــ أظن أن مثل هذا الجمال يستحق الانتظار .

ودلف إلى الشقة فى ثقة ، وأرشدته هى إلى الرَّدهة ، ودعته إلى الجلوس ، وهى تقول :

ـــ يسرُّنى أن لبيت دعوتى يا (ممدوح) .. آه .. معذرة .. أتسمح لى بنطق اسمك مجرَّدًا ، دون ألقاب ؟

أجابها فى بساطة :

ـــ بل يسرُّنى أن تفعلى ، وما كنت لأتأخر عن تلبية دعوتك ، يا عزيزتى (مادلين) .. أظن أننى أستطيع مخاطبتك باسمك مجرَّدًا .. أليس كذلك ؟

قالت فى دلال :

ـــ بالطبع .. والآن ماذا تحب أن تتناول ؟

أجابها قائلًا :

ـــ أى مشروب مثلَّج .

ضحكت قائلة :

ـــ يبدو أنك لا تفضِّل تناول الخمور .

ابتسم وهو يقول :

ـــ يمكنك أن تقولى إننى قد عجزت عن استساغتها .

أزاحت الخصلات الشقراء ، التى تهدَّلت على جبينها ، وقالت :

ـــ حسنًا .. سأعدّ لك مزيجًا من عصائر الفواكه إذن .

غمغم (ممدوح) :

ـــ سيكون هذا كرمًا منك .

غادرته إلى الداخل ، فى حين أخذ هو يفحص المكان بعينين خبيرتين ..

كان من الواضح أن (مادلين) تحيا فى رفاهية وثراء ، كما يشفُّ عنه أثاث شقتها الواسعة ، ذات الذَّوق الرفيع ، ولقد فحص (ممدوح) المكان كله تقريبًا ، قبل أن يتوقَّف عند تمثال برونزى ، لزنجى بالحجم الطبيعى ، يضع طبلة تحت إبطه ، وظهره للحائط .. وأخرج (ممدوح) مسدَّسًا صغير الحجم ، وثبَّت مقبضه فى التجويف الداخلى للطبلة ، المواجه للحائط ، ثم عاد يجلس مكانه ، فى نفس اللحظة التى عادت فيها (مادلين) ، وهى تدفع أمامها مائدة صغيرة ، اصطفَّت فوقها عصائر الفواكه الطازجة ، وجلست إلى جوار (ممدوح) على الأريكة ، وقدَّمت له كوبًا من مزيج العصائر ، اشتمَّه هو فى سرعة ، قبل أن يرتشف منه رشفة صغيرة ، فابتسمت هى فى خبث ، وقالت :

ـــ أتخشى أن أدسَّ لك السُّمَّ فى العصير ؟

أعاد الكوب إلى المائدة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـــ إنها إحدى عادات المهنة ، فلقد تلقيت تدريبًا لسبعة أشهر كاملة ؛ لتمييز الروائح المختلفة للسُّموم ، ومن الطبيعى أن تولد داخلى هذه العادة .

قالت فى خبث :

ـــ هناك من السموم مالا يمكن تمييزه بالرائحة .

أجابها فى ثقة :

ـــ إننى أميِّز هذا النوع عادة ، بلمسة من طرف لسانى ، ولكن هذا لا يمنع من أن عالم السُّموم يزخر دومًا بالجديد ، وكما يقولون : « الحذر لا يمنع القدر » .

أطلقت ضحكة عالية ، أعقبتها بابتسامة ماكرة ، وهى تقول :

ـــ هل تأكَّدت إذن من أننى لم أقدِّم لك عصيرًا مسمومًا أيها المرتاب ؟

حوَّل مجرى الحديث ، قائلًا :

ـــ قلت إنك ستقدمين لى معلومات جيِّدة بشأن مهرِّب الآثار (جوزيف) ، فما هى ؟

قالت ، والابتسامة الماكرة تتراقص على شفتيها :

ـــ أأنت متعجِّل للحصول على هذه المعلومات ، بأقصى سرعة ؟

ثم أردفت فى صوت بالغ النعومة :

ـــ ألا تهتم بأشياء أخرى ، بخلاف عملك البوليسى ؟

تطلَّع إلى عينيها ، وشفتيها ، التى تقترب منه ، وقال فى خُبث :

ـــ أحيانًا !

التفَّت يدها حول عنقه ، وهى تدنى شفتيها من شفتيه ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها زرًّا دقيقًا فى خاتمها ، فبرزت منه إبرة صغيرة مدبَّبة ، لا يعدو طولها ملِّيمترات قليلة ، وهمَّت بغرزها فى مؤخرة عنقه ، ولكن (ممدوح) جذب رباط عنقه بغتة ، فبرزت قطعة معدنية من ياقة قميصه ، تحمى مؤخرة عنقه ، وارتطمت بها الإبرة القاتلة ..

وبحركة حادَّة مباغتة ، جذب (ممدوح) يد (مادلين) من خلف عنقه ، ولواها فى قوَّة ، فأطلقت الفتاة صرخة ألم ، وهو ينتزع الخاتم من إصبعها ، ويقول متأمِّلًا السِّن المدبَّبة :

ـــ يا له من خاتم بالغ الجمال والخطورة فى نفس الوقت .. لقد سمعت الكثير عن قُبلاتك القاتلة ، وأصارحك القول إننى

لم أختبر عصيرك جدّيًا ؛ لأننى أعرف أن دسّ السُّم ليس أسلوبك ، وإنما أنت تقدمين السُّمّ مع شفتيك الجميلتين ، ويدك الرقيقة .

وجذب القطعة المعدنية من ياقة قميصه ، وألقاها على المائدة ، مستطردًا :

ــ ولكننى ــ لسوء حظّك ــ أمتلك رقبة مصفّحة .

فى نفس اللحظة انفتح باب جانبى ، وبرز منه رجل متوسّط الطول ، غليظ الملامح ، له لحية قصيرة ، وخلفه عملاق حادُّ الملامح ، مفتول الذراعين ، وكلاهما يَشْهَرُ مسدّسه فى وجه (ممدوح) ، وذو اللّحية القصيرة يقول لـ (ممدوح) فى مقت :

ــ أخطأت أيها المقدّم .. لم يكن خاتم (مادلين) يحوى سُمًّا هذه المرّة ، بل مادة مخدِّرة .. لقد فضّلت الاحتفاظ بك حيًّا ، ونقلك إلى مكان بعيد ، بعد تخديرك ؛ لأذيقك بعض صنوف العذاب ، قبل أن أقتلك ، ثمنًا للخسائر التى ألحقتها بى ، عندما أحبطت عملية تهريب الآثار ، التى كدت أتمّها بنجاح ، لولا تدخُّلك ، وإلقاؤك القبض على شريكى .. أو ربما كنت أساوم بك مقابل الحصول على وسيلة لمغادرة مصر ،

دون تدخل دولتك ، ولكننى عثرت على هذه الوسيلة بالفعل ، ولم تعُدْ بى حاجة إليك ، وما دمت ذكيًّا ، بما يكفى لكشف أمر (مادلين) ، فسأنهى العملية كلها برصاصة واحدة فى رأسك .

قال (ممدوح) فى هدوء وثبات ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ــ افعل إذن ، فهأنذا أمامك .. اقتلنى فتخسر على الفور صفقة لا تقدَّر بمال ، من الآثار المصرية .

تطلّع إليه الرجل فى شكٍّ ، وهو يقول :

ــ أتحاول خداعى يا رجل ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو يحتفظ بثبات أعصابه :

ــ ولماذا أفعل ؟.. إننى أُقدّم لك عرضًا ، لن تتلقّى مثله طِيلة عمرك .

قال العملاق لزميله :

ــ لا تنصت إليه .. إنه يسعى للخداع ، حفاظًا على حياته .. دَعْنا ننتهى منه .

ولكن (ممدوح) قال فى سرعة ، محاولًا إثارة أطماع المهرِّب :

ــ لماذا تظننى أتيت لمقابلة (مادلين) ؟.. أللحصول على بعض المعلومات عنك ؟.. لا يا رجل .. لقد انتهت القضية بالنسبة لى ، بعد استعادتنا شحنة الآثار المهرَّبة ، وإلقاء القبض على شريكك .. الواقع أننى قد أتيت للتفاوض معك لمنحك جزءًا من الآثار المهرَّبة ، مقابل مائة ألف دولار .

قال هذا وهو ينهض من مكانه ، فصوَّب إليه الرجلان مسدَّسيهما فى عصبيَّة ، وقال صاحب اللِّحية فى انفعال :

ــ أنت تكذب .

(ممدوح) :

ــ لماذا ؟. إننى أحتاج إلى المال ، والأمر ليس عسيرًا كما تتصوَّر ، فالآثار فى مخزن الشرطة ، لحين تسليمها إلى هيئة الآثار ، ولدىَّ مفتاح المخزن ، و .....

قاطعه ذو اللِّحية فى صرامة :

ــ انتظر .

وبإشارة منه تقدَّم العملاق من (ممدوح) ، وفتَّشه فى سرعة ، وانتزع منه المسدَّس المعلَّق أسفل إبطه ، ودسَّه فى حزامه ، وهو يقول لصاحب اللِّحية :

ــ لا يحمل سلاحًا سوى هذا .

قال ذو اللِّحية :

ــ حسنًا .. الآن يمكنك أن تتابع حديثك .

خطا (ممدوح) جانبًا ، وهو يضع يديه حول وسطه ، قائلًا :

ــ كل ما أنشده هو قليل من ثقتك ، ويمكننى مساعدتك فى الحصول على كمية لا بأس بها من الآثار المهرَّبة ، لقاء المبلغ الذى طلبته ، ولو أنك أضفت إليه القليل ، يمكننى أن أضمن لك الهروب إلى الخارج أيضًا .

قال ذو اللِّحية فى ارتياب :

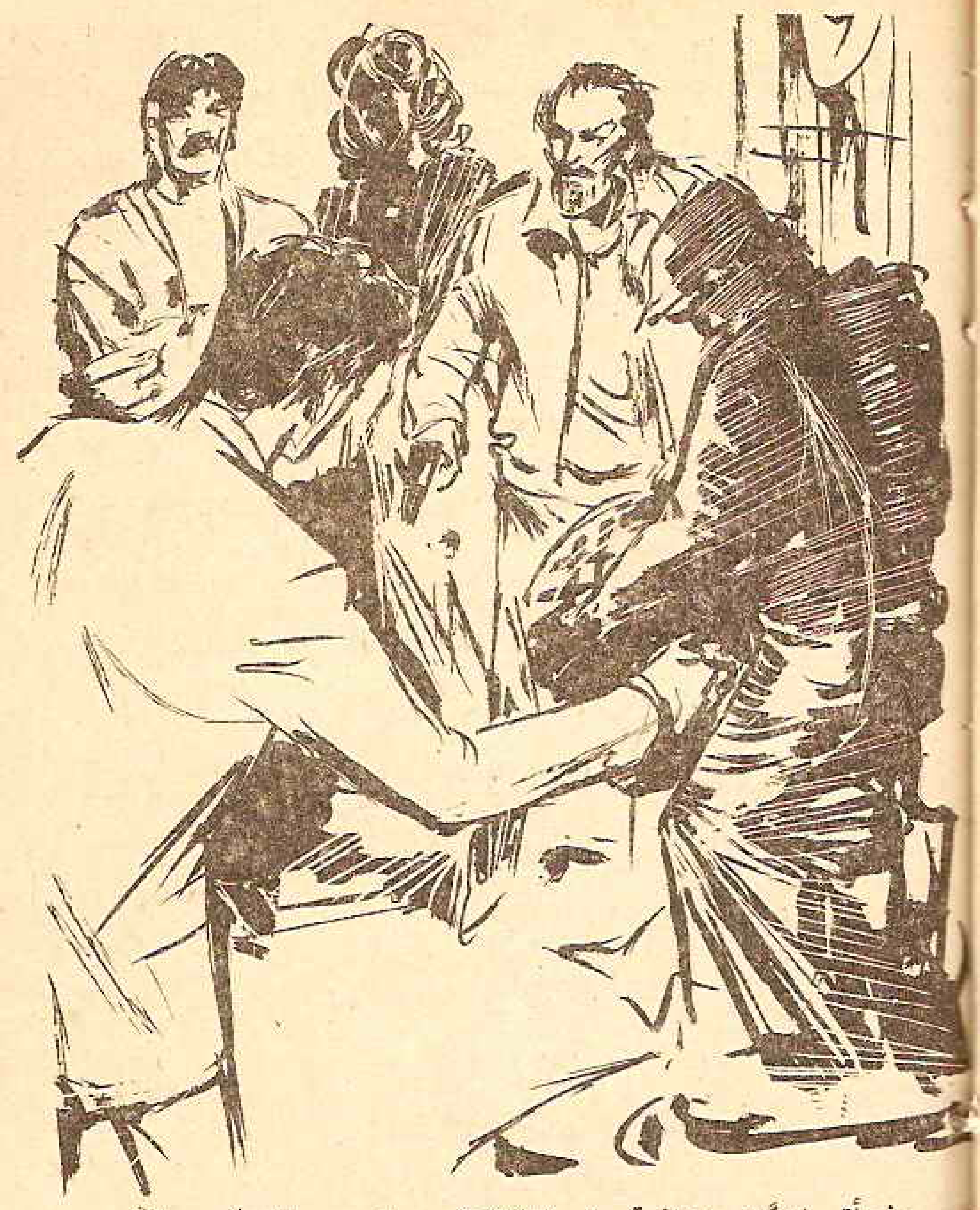
إنها حِيلة بدائية ، فأمثالك ممن يخاطرون بأرواحهم للقبض على المهربين ، لا يساومون لاستغلال ما حصلوا عليه أبدًا .

تحرَّك (ممدوح) فى هدوء ، نحو التمثال البرونزى ، وهو يقول :

ــ لا تنس أننى كنت ضمن فريق من رجال الأمن ، ومن المحتَّم أن أبدوَ أمامهم مقاتلًا صنديدًا ، وإلا ساورهم الشكّ فى أمرى ، أما هنا فيمكننى أن أساوم على تقديم خدماتى .

تضاعف انفعال العملاق ، وهو يقول لزميله :

ــ (چوزيف) .. لماذا ننصت إليه ؟.. من الواضح أنه يسعى لخداعنا وإضاعة الوقت .



وفجأة ، امتدَّت يده إلى تجويف طبلة التمثال ، وانتزع منها المسدَّس ، الذى أخفاه مسبَّقًا ، وأطلق النار نحو (جوزيف) ..

صوَّب (جوزيف) مسدَّسه إلى رأس (ممدوح) ، وهو يقول فى حزم هذه المرَّة :

ـ أنت على حق .. لقد أنصتنا إليه أكثر مما ينبغى .

هتف (ممدوح) :

ـ لا .. انتظر .. سأقدِّم لك تمثالًا للإله (حورس) ، بحجم هذا التمثال البرونزى ، و .....

وفجأة ، امتدَّت يده إلى تجويف طبلة التمثال ، وانتزع منها المسدَّس ، الذى أخفاه مسبَّقًا ، وأطلق النار نحو (جوزيف) ، الذى استقرَّت الرصاصة فى كتفه ، فسقط مسدَّسه من يده ، قبل أن يرفع العملاق مسدَّسه ، ولكن رصاصة من مسدَّس (ممدوح) أطاحت بمسدسه ، وأسقطته جاثيًا على ركبتيه ، وهو يمسك معصمه بيده فى ألم ، فى حين أطلقت (مادلين) صرخة رُعب ، تجاهلها (ممدوح) تمامًا ، وهو يدفع مسدَّسى الرجلين بعيدًا بقدمه ، قائلًا فى هدوء :

ـ لا داعى لكل هذا الصراخ ، حتى لا نزعج الجيران .

وألقى الخاتم إلى (مادلين) ، مستطردًا :

ـ هيَّا ياشقرائى الجميلة ، دَعِينا نختبر قوة المادة المخدِّرة فى إبرة خاتمك ، بوخزتين فى عنقى طفلينا الكبيرين هذين ، فأنا

أنشد لهما نوما هادئًا ، حتى يتمّ نقلهما إلى سيارة الشرطة ، التى تنتظر أسفل البِناية .. هيَّا .

أطاعته الفتاة فى استسلام تام ، فى حين أدنى هو القدَّاحة الصغيرة التى يحملها من فمه ، ويقول ، عَبْرَ جهاز التسجيل الدقيق داخلها :

ـ انتهت العملية بنجاح .. والبضاعة جاهزة للتسليم .

وعندما أنهى الاتصال كان يحمل على شفتيه ابتسامة كبيرة ..

ابتسامة رجل ظافِر ..

* * *



٣ ـ مهمَّة فى روما ..

رفع اللواء (مراد) عينيه إلى (ممدوح) الذى يخطو داخل حجرته ، ويؤدى التحية العسكرية ، وتعلّق بصر (ممدوح) بشخص يجلس فى حجرة اللواء (مراد) ، ولقد نهض هذا الشخص لمصافحة (ممدوح) ، واللواء (مراد) يقول :

ـ أنت تعرف طبعًا العميد (حسين) ، من إدارة المخابرات العامة المصرية .

صافح (ممدوح) العميد (حسين) ، الذى قال :

ـ يُسعدنى أن ألتقى بك يا (ممدوح) .. هذا هو اللقاء الثالث لنا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ بلى .. كان لقاؤنا الأخير فى مباراة التنس ، التى تنافسنا للفوز بها .

ضحك العميد (حسين) ، قائلًا :

ـ لن أنسى أنك قد ألحقت بى هزيمة نكراء حينذاك .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ ألهذا لم نعُد نراك فى النادى ؟

قال العميد (حسين) :

ـــ لست ممن ينسحبون فى سهولة أيها المقدَّم ، ولكنك تعرف جيِّدًا أن من يمارسون مهمتنا لا يجدون الوقت للَّعب .

تدخَّل اللواء (مراد) فى الحديث ، قائلًا :

ـــ كنت أتحدَّث مع العميد (حسين) ، عن مغامرتك الأخيرة ، فى قضية تهريب الآثار . التفت العميد (حسين) إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ يبدو أن رصيدك من البطولات يتضاعف كل يوم ، فى إدارة العمليات الخاصة ، حتى بتنا نشعر بالغيرة منهم ، ونسعى لضمِّك إلى صفوفنا .

ابتسم اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـــ لن نفرِّط فى (ممدوح عبد الوهاب) أبدًا .

ارتسمت الجدِّية على وجه (حسين) ، وهو يقول :

ـــ لا مفرَّ من الاستعانة به إذن ؛ لتقديم بعض الخدمات لنا ، من آن إلى آخر .

قال (ممدوح) :

ـــ إننى مستعد دائمًا لخدمة الوطن ، أيًّا كان موقعى .

دار اللواء (مراد) خلف مكتبه ، ووقف إلى جوار (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ صدرت أوامر عليا بالتعاون بين إدارتنا وإدارة المخابرات العلمية ، فى مهمَّة من نوع خاص .

أكمل العميد (حسين) :

ـــ بلغتنا معلومات بالغة الخطورة ، من أحد رجال المخابرات الأسترتانية فى (روما) ، تؤكد وجود جاسوس لحساب (أسترتان) ، داخل (مصر) ، يحتل أحد المواقع الحسَّاسة فى البلاد ، ولقد كدنا نبتاع اسم هذا الجاسوس ، لولا تدخُّل المخابرات الأسترتانية ، والشرطة الإيطالية ، مما أفقدنا عميل (أسترتان) فى روما ، مع فرصة معرفة اسم الجاسوس ، الذى ما زال يمارس نشاطه فى حرية مطلقة ، مهدِّدًا مصالح بلادنا ، ومعتمدًا على جهلنا التام لحقيقة شخصيته ، فى نفس الوقت الذى يرقد فيه العميل الأسترتانى ، الذى يمكنه أن يبلغنا الأمر ، طريح الفراش ، فى أحد المستشفيات الإيطالية ، إثر تعرُّضه لمحاولة اغتيال ، بوساطة المخابرات الأسترتانية ، وهذا العميل موضوع تحت رقابة وحراسة مشدَّدة ، ليل نهار ، بوساطة الشرطة الإيطالية ،

التى تسعى بدورها ؛ لكشف بعض جوانب القضية ، فى حين يقبع فريق اغتيال خاص ، من فرق المخابرات الأسترتانية ، للقضاء على ذلك العميل ، الذى يُدعى (أنطونيونى) ، للحيلولة بينه وبين الكشف عن اسم العميل الهام .

قال اللواء (مراد) :

ـــ والمطلوب منك أن تخترق ذلك الحصار الحديدى ، من رجال الشرطة الإيطالية ، والمخابرات الأسترتانية ، حتى تصل إلى (أنطونيونى) ، فى المستشفى ، أو فى أيّة جهة أخرى ؛ لتحصل منه على اسم الجاسوس ، الذى يعمل فى مصر .

ساد الصمت بُرهة ، قطعها اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـــ أعلم أنها مهمَّة شاقة ، وليست بالهيِّنة ، خاصة وأنك شخصية معروفة ، بالنسبة للمخابرات الأسترتانية ، وربَّما سعوا للتخلُّص منك ، فور علمهم بوصولك إلى (إيطاليا) ، ولن تخفى عليهم طبيعة مهمَّتك .

العميد (حسين) :

ـــ لست أُخفِى عنك أن اختيارك لهذه المهمَّة ينبع من نقطة شديدة الحساسية ، فنحن نجهل ـــ حتى الآن ـــ طبيعة الموقع الحسَّاس ، الذى يحتلّه هذا الجاسوس ، ومن المحتمل أنه أحد

مواقع المخابرات ؛ لذا فليس من المأمون أن يثق المرء فى أى مخلوق ، خوفًا من أن تتسرَّب أيّة معلومات عن هذه المهمَّة ، إلى الجاسوس الخفِىّ ، ولمَّا كنت أثق بك وباللواء (مراد) ثقة مطلقة ، فقد دار بخلَدِى أن أعهد بالمهمَّة إليك .

أجابه (ممدوح) بلا تردُّد :

ـــ أنا مستعد للقيام بالمهمَّة ، فور تكليفى إيَّاها .

ربَّت اللواء (مراد) على كتف (ممدوح) ، وقال :

ـــ حسنًا .. استعد للسفر إلى (روما) غدًا .

وهكذا بدأت المهمَّة ..

* * *

فى مكان ما من (روما) ، راح رجل المخابرات الأسترتانى (دانى) يلقِى أوامره إلى رجاله ، قائلًا :

ـــ بلغتنا معلومات مؤكدة ، أن واحدا من أخطر رجال المكتب رقم (١٩) المصرى ، قد وصل إلى (روما) ، وهو المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) ، ولا ريب أن البعض منكم يعرفه ، ولن يتخفى عليكم الغرض الفعلى لقدومه ، فهو هنا ؛ للاتصال بـ (أنطونيونى) فى المستشفى ، والحصول منه على اسم جاسوسنا فى (مصر) ، وهذا يَعْنِى أن مهمَّتنا قد

أصبحت مزدوجة ، إذا لم يعُد الأمر يقتصر على التخلُّص من (أنطونيونى) ، بل امتدَّ إلى التخلُّص من المقدِّم المصرى أيضًا ، لمنعه من الاتصال بالإيطالى .. أهذا مفهوم ؟

أجابه الحاضرون فى آن واحد :

ـــ مفهوم تمامًا .

أشعل غليونه ، وهو يقول :

ـــ فلنبدأ العمل إذن .

كان هذا يحدث ، فى نفس الوقت الذى وصل فيه (ممدوح) إلى الفندق الإيطالى ، الذى حجزت له السفارة المصرية حجرة فيه ، وقاده أحد خدم الفندق إلى حجرته ، حيث حصل على حمام دافئ ، وأبدل ثيابه ، ثم أوى إلى فراشه ، لينعم بفترة من النوم ، بعد أن قضى ليلته السابقة كلها فى مناقشة تفاصيل مهمَّته ، ثم استقلَّ بعدها الطائرة إلى (روما) ..

ولكن نومه العميق لم يمنع حاسته السادسة من الاستيقاظ قرب الفجر ، عندما تسلَّلت إلى أذنه أصوات خافتة ، لحركة خارج حجرته ، جعلته يهبُّ من رقاده ، ويرهف سمعه جيِّدًا ، فقد كان من الواضح أن أحدهم يحاول فتح باب حجرته بوسيلة ما ..

وبسرعة ، غادر (ممدوح) حجرته من النافذة ، وسار على الإفريز الضيق خارجها ، متشبِّثًا بالحافة العلوية للنافذة ، واختفى هناك ، فى نفس اللحظة التى فتح منها باب الحجرة ، ودلف إليها شخصان مسلَّحان ، اتجه أحدهما نحو فراش (ممدوح) ، وانتزع غطاءه ، وهتف ، وهو يصوِّب مسدَّسه ، المزوَّد بكاتم للصوت ، إلى الفراش :

ـــ اللَّعنة !.. إنه ليس هنا .

زمجر الآخر ، وأدار خنجره الحادّ فى يده ، وهو يقول :

ـــ وليس فى الحمام أيضًا .

قال الأوَّل :

ـــ أين ذهب هذا الوغد إذن ؟.. أنا واثق من أنه لم يبرح حجرته !!

ثم تطلَّع إلى النافذة المفتوحة ، مستطردًا :

ـــ أيمكن أن .... ؟

ودون أن يتمَّ عبارته ، اندفع نحو النافذة ، وأبرز منها رأسه ومسدَّسه ..

وفجأة ، امتدَّت يد (ممدوح) فى سرعة البرق ، تمسك ياقة الرجل ، وتجذبه خارج النافذة ، بقوة غير عادية ، لتلقى به من حالق ، حتى أن الرجل لم يفق من ذهوله ، ولم يبدأ فى



وفجأة ، امتدَّت يد (ممدوح) فى سرعة البرق ، تمسك ياقة الرجل ، وتجذبه خارج النافذة ، بقوة غير عادية ..

إطلاق صرخته المفزعة ، وهو يسقط من الطابق الحادى عشر إلى الأرض ، إلا بعد أن تجاوز الطابق السابع بالفعل ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها زميله نحو النافذة ، وهو يطلق صرخة غضب ، ويَشْهَرَ خِنجره ، استعدادًا لطعن (ممدوح) ، ولكن هذا الأخير قفز داخل الحجرة ، وركل الرجل فى وجهه ركلة قوية ، جعلت الرجل يفقد توازنه ، وقبل أن يستردَّ توازنه، كان (ممدوح) يعاجله بلكمة قوية ، جعلته يترنَّح بضع خطوات ، ثم أطاحت به اللكمة الثانية أرضًا ..

وقفز (ممدوح) فوق خصمه ، الذى تدحرج جانبًا ، وترك (ممدوح) يسقط أرضًا ، ثم قفز ؛ ليغرس نصل خنجره فى ظهره ، ولكن (ممدوح) انقلب فى سرعة ، وقبض على معصم الرجل ، الذى كان أقوى من (ممدوح) فعليًا ، حتى أنه راح يدفع نصل خِنجره إلى صدر (ممدوح) بقبضة كالفولاذ ..

وثنى (ممدوح) ركبتيه ، ورفع قدميه عاليًا ، ولفَّ ساقيه حول عنق غريمه ، فى مرونة مدهشة ، ثم دفع الرجل بعيدًا .

وآتت المفاجأة ثمارها ، ففقد الرجل توازنه ، وانقلب على ظهره ، وضرب (ممدوح) يد خصمه بالأرض ، وأجبره على

التخلّى عن خِنجره ، ثم راح يضرب رأسه بالأرض فى قوة ، وهوَى على فكّه بلكمة كالقنبلة ، أسلمته إلى غيبوبة عميقة ..

ونهض (ممدوح) يتطلّع من النافذة إلى أسفل ، فرأى عددًا مِن المارّة ، يلتفّ حول جثة المجرم ، الذى سقط من حجرته ، فأسرع يفتح باب حجرته ، وألقَى نظرة على ممرّ الفندق ، وعندما وجده خاليًا ، حمل المجرم الآخر ، وضغط زِرّ المصعد ، وانتظر حتى بلغ المصعد طابقه ، وانفتحت أبوابه آليًا ، فألقى الرجل داخله ، وضغط زِرّ الهبوط ، وقال والمصعد يهبط إلى أسفل :

ـ من حُسْنِ حظّك أنك لم تهبط بنفس الوسيلة ، التى هبط بها زميلك .

ودلف إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه ..

ومع نسمات الصباح الأولى ، كان الفندق يكتظّ برجال الصحافة والشرطة ، الذين راحوا يستجوبون رُوّاد الفندق ، وخاصة من انفتح المصعد أمامهم ، ورأوا ذلك المجرم الآخر متكوّمًا داخله ، وقد تورّم وجهه من أثر اللكمات ..

وأيقن الجميع من وجود علاقة ما ، تربط ما بين الصريع والمصاب ، وراح رجال الشرطة الإيطالية يبذلون أقصى

جهدهم ، لاستنطاق المجرم المصاب ، بعد أن استعاد وعيه ، إلا أنه كان من المستحيل أن يعترف الرجل بانتمائه إلى المخابرات الأسترتانية ..

أما (ممدوح) ، فقد تجاهل كل هذا ، وعاد للاستغراق فى نومه العميق ..

لقد أيقن من احتياجه الشديد للراحة ، بعد أن بدأت مهمّته ..

بدأت بالفعل ..

* * *



٤ ـــ المطاردة ..

جلس (ممدوح) داخل سيارته ، فى الجهة المقابلة للمستشفى ، يلتقط بعض الصور لمداخله ومخارجه المختلفة ، ثم لم يلبث أن انطلق بسيارته ؛ للعمل على إظهار الصور فى سرعة ، فقد كان يسعى للبحث عن ثغرة مناسبة ، للدخول إلى المستشفى ، بعيدًا عن أعين رجال الشرطة الإيطالية ، والمخابرات الأسترتانية ..

وأدرك (ممدوح) أنه مطارد ، عندما نقلت إليه مرآة سيارته صورة لسيارة سوداء ، تتبعه كظله ، وبدا له من الواضح أنها تنتمى إلى الشرطة الإيطالية ، وليس إلى المخابرات الأسترتانية ، إذ رأى عَبْرَ مرآة السيارة ـــ تلك السيارة السوداء ، وهى تتجاوز الإشارة الحمراء ؛ للَّحاق به ، وأحد ركابها يبرز لشرطى المرور بطاقة خاصة ، للحيلولة دون اعتراضه على تجاوز الإشارة ..

وزاد (ممدوح) من سرعة سيارته ؛ للإفلات من

المطاردة ، ولكن رجال الشرطة زادوا من سرعتهم بدَوْرِهم ، وكأنما يصرُّون على عدم إفلاته منهم ، وهنا انطلق (ممدوح) بأقصى سرعته ، وسيَّارته تنهب الأرض نهبًا ، فى الطريق السريع ، وخلفها السيارة السوداء ، حتى مال (ممدوح) بسيارته فى محور جانبى ضيق ، وانطلق خلف سيارة نقل وقود ضخمة ، وراح يطلق نفير سيارته دون جدوى ، محاولًا إقناع سائق السيارة الضخمة بإفساح الطريق ، ثم لم يلبث أن خاطر بالانطلاق عَبْرَ الحيِّز الضيِّق ، الذى تركته سيارة النقل ، بينها وبين قاعدة جبل ضخم ، على جانب الطريق .

وأمال (ممدوح) سيارته بغتة ، وأمام أعين رجال الشرطة الإيطالية الذَّاهلة ، ارتفع الجانب الأيمن للسيارة ، وراحت تنطلق على إطاريها اليساريين ، فى الفراغ الضيق ، بحركة بهلوانية مدهشة ، جُنَّ لها جُنون رجال الشرطة الإيطالية ، الذين أصبحت الناقلة الضخمة حائلًا بينهم وبين سيارة (ممدوح) ، التى عادت تستقر على إطاراتها الأربعة ، بعد أن تجاوزت سيارة النقل ، وانطلقت مرَّة أخرى بأقصى سرعتها ، وراح سائق سيارة الشرطة يضغط نفيرها فى عصبيَّة ، باحثًا عن وسيلة ؛ لتجاوز سيارة النقل ، حتى نجح فى ذلك ، عند مفترق

طرق ، فأشار للناقلة بالوقوف ، وأبرز بطاقته لسائقها ، وهو يقول :

ــ أين ذهب ذلك البهلوان ، الذى تقدّمك بسيارته الرمادية ؟

أشار السائق إلى طريق جانبى ، قائلًا :

ــ لقد عبَر هذا الطريق .

قال الشرطى الإيطالى ، وهو يسرع إلى سيارته :

ــ حسنًا .. تابع طريقك .

وانطلقت سيارة الشرطة ، فى الطريق الذى مضى فيه (ممدوح) ، فى حين كان هذا الأخير يدرك جيِّدًا أنهم سيلحقون به ؛ لذا فقد غادر سيارته ، بعد كيلومترات قليلة ، وهو يحمل أسطوانة غريبة الشكل ، مسدودة من الطرفين بغطاءين من البلاستيك ، وثبّت الأسطوانة فى ماسورة العادم بسيارته ، بقطعتين مغناطيسيتين ، بحيث تواجه إحدى سدادتيها الطريق ، ثم عاد يستقلّ السيارة ، ويتابع طريقه بها ، حتى لحقت به سيارة الشرطة ، ولمحها فى مرآة سيارته ، فأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، ضغط أحد أزراره ، فسقطت السدادة المواجهة للطريق ، فى الأسطوانة الغريبة ، وظهرت

على شاشة الجهاز الصغير بقعة ضوئية صفراء ، يتوسطها خطّان متقاطعان باللون الأسود ، فى حين راح خطّان متقاطعان آخران ، يتحرّكان عبْر الشاشة ، فى لون أحمر واضح ..

ودون أن يفقد تركيزه على قيادة السيارة ، راح (ممدوح) يحرّك أزرار جهازه الصغير ، حتى تستقر العلامة الحمراء فوق مثيلتها السوداء ، والأسطوانة المثبّتة فى ماسورة عادم سيارته تتحرّك مع حركة العلامة الحمراء ، حتى انطبقت العلامتان ، الحمراء والسوداء ، وهنا ضغط (ممدوح) زرًّا آخر فى جهازه ، فانطلق من الأسطوانة سهمان رفيعان ، اخترقا أحد إطارات السيارة السوداء ، التى انحرفت فى شدة ، واضطر قائدها لإيقافها ، وهبط منها يتطلّع إلى السهمين فى ذُهول ، فى حين راح رفاقه يرمون سيارة (ممدوح) المبتعدة بالسّباب واللّعنات ، إلا أن هذا الأخير ابتسم فى هدوء ، وضغط زر الجهاز الأوّل ، فعادت سدادة الأسطوانة إلى موضعها ، وهو ينطلق مبتعدًا وقد ربح المطاردة ..

وربح الجولة الأولى ..

* * *

اتصل (ممدوح) هاتفيًا بالمصوّر الإيطالى ، الذى عهد إليه بمهمّة تحميض الفيلم ، الذى التقطه للمستشفى ، وسأله :

ـــ هل انتهيت من إعداد الصور ؟

أجابه المصوِّر الإيطالى :

ـــ ستكون جاهزة خلال دقائق يا سنيور .

ممدوح :

ـــ هل أحضر لتسلُّمها ، بعد نصف الساعة إذن ؟

المصوِّر :

ـــ ستكون جاهزة ، قبل هذا الموعد .

ممدوح :

ـــ لست أحتاج إلى تذكيرك بمدى أهمية وسرِّية هذه الصورة ، والأحجام المختلفة ، التى أريدها منها .

المصوَّر :

ـــ إننى أتعامل معكم منذ سنوات ، وتعلمون أننى لست بحاجة إلى هذه التوصيات .. ستجد الصور على النحو الذى تنشده تمامًا .

انهى المصوِّر المحادثة ، واتجه إلى معمل إظهار الصور ، الملحق بمتجره ، وانتهى من إظهار صور المستشفى ، وراح يجفِّفها فى اهتمام ، حتى تناهَى إلى مسامعه صوت من خارج المعمل ، فخرج إلى المتجر لاستطلاع ما يحدث ، ووجد أمامه

شخصًا ضخم الجثة ، حادَّ الملامح ، تمتدُّ من أسفل عينه حتى فكّه السفلى ندبة طويلة ، شعر المصوِّر معها بشىء من التوجُّس والرَّهبة ، وهو يتظاهر بالابتسام ، قائلًا :

ـــ هل من خدمة ، يمكننى تقديمها إليك يا سيِّدى ؟

أجابه الرجل فى صوت أجش ، ووجه جامد :

ـــ نعم .. أريد صورة بالحجم الطبيعى .

وعلى الرغم من أن المصوِّر لم يَعُد يلتقط الصور الشخصية فى متجره ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقه ، جعله يخشى الرفض ، وإغضاب الرجل ، الذى تشفُّ كل خلجة من خلجات وجهه عن القسوة ، وجعله هذا الشىء يدعو الرجل للدخول إلى قاعة التصوير ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. تفضَّل هنا .

وقف الرجل أمام آلة التصوير ، وانحنى المصوَّر يلصق عينه بعدسة الرؤية فيها ، ولكنه لم يَرَ وجه الرجل ، وإنما وقع بصره على فُوّهة مسدَّس مزوَّدة بكاتم للصوت ، وقبل أن يرفع عينه ؛ ليدرك ما يَعْنِيه هذا ، انطلقت من الفُوَّهة القاتلة رصاصة ، اخترقت عين المصوِّر ، وجمجمته ، وأسقطته جثة هامدة ، دون أن تختلج عضلة واحدة فى وجه الضخم ، الذى أعاد

مسدّسه إلى جرابه ، المثبّت أسفل إبطه الأيسر ، ورفع خصلة من شعره ، ليعيدها إلى موضعها فى برود ، وقبل أن يعبُر قاعة التصوير إلى حجرة إظهار الصور ، تناهى إلى مسامعه صوت أقدام تدخل إلى المتجر ، فأسرع يستقبل سيّدة وفتاة هناك ، وهو يسألهما :

ـــ هل من خدمة يمكننى تقديمها ؟

وعلى الرغم من الرَّهبة ، التى شعرت بها المرأة ، لدى رؤيتها للرجل ، إلا أنها تمالكت نفسها ، قائلة :

ـــ أين السنيور (روسيلّى) ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ لقد ذهب لقضاء بعض الأعمال ، وسيعود بعد ساعة واحدة .

غمغمت السيّدة :

ـــ كان من المفروض أن أتسلّم صور عيد ميلاد ابنتى (روزيتا) اليوم !

أجابها ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ، لم تتناسب أبدا مع وجهه الدميم :

ـــ سأخبره عندما يأتى يا سيّدتى ، وستجدين الصور جاهزة بعد ساعة واحدة .

لم تكد السيّدة تنصرف مع ابنتها ، حتى تلاشت ابتسامته الدميمة ، وأشعل لنفسه سيجارة ، وهو يقول فى غِلظة :

ـــ والآن فلننتظر حضورك أيها المقدِّم المصرى .. إنه دوْرك ..

* * *

شعر (ممدوح) بدهشة حقيقية ، لذلك السكون ، الذى استقبله فى متجر التصوير ، وأثار انتباهه فى شدة وجود بقعة من الدم ، على الجدار المجاور لحجرة التصوير ، فاندفع إلى الحجرة ، وتصلّبت عيناه فى محجريهما ، عندما رأى (روسيلّى) متكوّمًا إلى جوار آلة التصوير ، وسط بركة من الدم ، وقبل أن يهتف (ممدوح) باسم المصوّر ، برز أمامه ذلك القاتل الضخم الدميم ..

ورأى (ممدوح) المسدّس القاتل مصوّبًا إلى صدره ، فامتدّت يده فى سرعة تطفئ ضوء الحجرة ، وقفز جانبًا ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة من مسدّس القاتل ، فى صوت مكتوم ، ووميض سريع ، لم يلبث أن تلاشى بأسرع مما ظهر ، وقد تجاوزت الرصاصة (ممدوح) ، الذى قبع فى مكمنه ، وعيناه المدرّبتان على الرؤية فى الظلام تلمحان شبح الرجل يقترب فى حَذر ..

وبلكمة كالقنبلة ، هوَى (ممدوح) بقبضته على فكّ الرجل ، الذى تراجع خطوة واحدة ، وهو يطلق رصاصة أخرى ، عَبَرَت إلى جوار أُذن (ممدوح) تمامًا ، قبل أن ينحرف الضخم فجأة ، ويضغط زرّ إضاءة الحجرة ..

وغمر الضوء الحجرة ..

وابتسم الضخم فى ظَفَر ، وهو يرفع مسدَّسه فى وجه (ممدوح) ..

وبدت النهاية قريبة ..

قريبة للغاية ..

* * *



٥ ـ الثعلب والكلاب ..

كان الموقف دقيقًا وحسَّاسًا إلى أقصى حدّ ، ولم يكن ذلك القاتل الضخم ليتردَّد لحظة واحدة ، فى اختراق رأس (ممدوح) برصاصة من مسدَّسه ، ولكن (ممدوح) التقط أحد أحواض أحماض التصوير ، وألقاه بالحامض فى وجه غريمه ، الذى أطلق صرخة ألم ، ورفع يديه إلى وجهه ، فاختطف (ممدوح) صور المستشفى ، وانطلق يعدُو خارج المتجر ، قبل أن يلحق به خصمه ..

وقفز (ممدوح) نحو سيَّارته ، التى تقف فى نهاية الشارع ، ولكن قبل أن يضع يده على مقبضها ، استقرَّت رصاصة على بعد سنتيمترات من أصابعه ، فالتفت خلفه ، ورأى الضخم وقد أصابه جُنون الغضب ، فانطلق خلفه بمسدَّسه ، دون أن يعبأ بكشف أمره أمام المارَّة ، مما اضطرَّ (ممدوح) إلى التخلّى عن سيارته ، والركض وسط الطريق ، مخترقًا زحام المارَّة ، الذين انطلقت صرخاتهم ، عندما أصابت رصاصات القاتل



وفجأة ، فُتِحَ باب العربة ، وظهر من خلفه المجرم ، الذى أطلق رصاصة على (ممدوح) ، كادت تستقر فى جسد بطلنا ..

بعضهم ، وأدرك (ممدوح) أن هذا الأسلوب ، وإن كان يحميه من أن يصبح هدفًا مكشوفًا لخصمه ، إلا أنه يعرّض حياة الأبرياء للخطر ، بعد أن تحوَّلت رغبة المجرم فى قتله إلى حالة هستيرية ؛ لذا فقد انحرف (ممدوح) فى طريق جانبى خالٍ من المارة ، حيث وجد أمامه مخزنًا للقطارات القديمة ، بدا له ممتازًا كمخبأ ، فأسرع يقفز إلى داخل إحدى القاطرات القديمة ، واندفع يختفى داخل العربات المتهالكة ، وهو يتنقَّل من واحدة إلى أخرى ، حتى أنهكه التعب ، فألقى جسده فوق مقعد جلدى قديم ، ليلتقط أنفاسه ..

وفجأة ، فُتِحَ باب العربة ، وظهر من خلفه المجرم ، الذى أطلق رصاصة على (ممدوح) ، كادت تستقر فى جسد بطلنا ، لولا أن انتحى جانبًا فى سرعة ، وترك الرصاصة تصيب المقعد ، ووثب هو على غريمه ، وهوى على معدة الرجل برأسه ، وهو يحيط وسطه بذراعيه ، وسقط الاثنان على أرض العربة ، ولم يحاول (ممدوح) مواصلة القتال ؛ لتيقُّنه من قوة خصمه ، التى تفوق قوته كثيرًا ، خاصة وقد تضاعفت قوة خصمه ، مع رغبته الهستيرية الجنونية فى قتله ؛ ولهذا اكتفى بطرح الرجل أرضًا ، وانطلق يغادر العربة ركضًا ، إلى عربات

القطار الأخرى ، وانطلق الرجل خلفه فور نهوضه ، حتى بلغ عربة قديمة ، محطمة السقف ، وراح يبحث بين مقاعدها المتهالكة عن (ممدوح) ، إلا أن هذا الأخير انقضَّ عليه فجأة كالصَّاعقة ، من السقف المفتوح ، وأطاح بمسدَّسه هذه المرَّة ، وهو يطرحه أرضًا مرَّة ثانية ، ثم راح يهوى على فكِّه بلكمات عنيفة ، ولكن الضخم تشبَّث بياقة سترة (ممدوح) ، ودفع قدميه فى معدته ورفعه بساقيه عاليًا ، ورماه إلى الخلف ، خارج العربة المفتوحة ..

وسقط (ممدوح) على الرصيف المجاور للقطار ، وانقضَّ عليه الرجل ، الذى يمتلك قوة غير عادية ، وهوى بقبضته على فكِّ (ممدوح) ، وأسال الدماء من زاوية شفتيه ، ثم تملَّكته فجأة ثورة جُنونية ، فقبض على رأس (ممدوح) ، وراح يضربه فى الرصيف فى قوة ، حتى شعر (ممدوح) أنه فى سبيله إلى فقدان الوعى ، أو أن جمجمته ستتحطَّم ، فاستجمع كل قُواه ، وكل خبرته فى فنون القتال ، وهَوَى بحافتى يديه ، على جانبى عنق خصمه ، الذى شعر بآلام مُبرِّحة فى عنقه ، وتخلَّى عن رأس (ممدوح) ، وهو يرفع كفَّيه إلى عنقه فى ألم ، مما أتاح لـ(ممدوح) فرصة معالجة الرجل بلكمة خُطَّافية عنيفة أسفل

فكِّه ، أطاحت به من فوقه ، وألصقت به أرضًا ، فنهض (ممدوح) ليعكس الوضع ، ويجثم فوق خصمه ، وضمَّ قبضتيه فى قوة ، ورفعهما عاليًا ، وهَوَى بهما على فكِّ غريمه ، ولكن .....

لم تبلغ قبضتاه هدفهما ، فقد تجمَّدتا فى موضعهما ، عندما وقع بصره على فوَّهة مسدَّس مصوَّبة إلى رأسه ، والتقطت أذناه صوتًا صارمًا قاسيًا يقول :

ــ هذا يكفى .. انهض وضع يديك فوق رأسك .

كانوا رجال الشرطة الإيطالية ..

وكانت الهزيمة فى الجولة الثانية ..

* * *

تطلَّع مفتش الشرطة إلى (ممدوح) فى برود ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. ألا تنوى الاعتراف ؟

أجابه (ممدوح) بابتسامة استخفاف :

ــ أعترف بماذا ؟.. لقد أدليت بكل ما لدىَّ .

مفتش الشرطة :

ــ إذن فأنت تصرُّ على أنك مجرَّد رجل أعمال مصرى ، جئت للاستجمام والسياحة ، ثم هاجمك مجنون ، ينشد قتلك دون مبرِّر ، مما اضطرَّك للدفاع عن نفسك .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) فى ثبات :

ـــ بلى .. هذا صحيح .

مفتش الشرطة :

ـــ ولكن هذا لا يبدو مقنعًا قطُّ .

هزَّ (ممدوح) كتفيه ، قائلًا :

ـــ هذا شأنك .. لقد أدليت بما لدىَّ كله .

مفتش الشرطة :

ـــ وما الذى يثبت لى أنك رجل أعمال كما تدَّعى .

ممدوح :

ـــ هذا واضح وثابت ، فى جواز سفرى .

مفتش الشرطة :

ـــ وما أدرانا أن جواز السفر ليس مزوَّرًا ؟

ممدوح :

ـــ يمكنك التأكُّد من هذا ، على أيَّة حال .

مفتش الشرطة :

ـــ إنك تقيم فى ذلك الفندق ، الذى لَقِى فيه الأسترتانى (هودن) مصرعه ، ثم رآك رجالنا تلتقط بعض الصور ، لمستشفى (دازرينى) ، ولقد عمدت إلى الفرار فى سرعة ،

عندما طاردك رجالنا ، وهأنتذا تشتبك فى معركة عنيفة ، مع أحد الأشخاص ، فى مخزن مهجور للقطارات ، ألا يبدو هذا عجيبًا ، بالنسبة لرجل أعمال ، يبحث عن الراحة والاستجمام والسياحة فحسب ؟

احتفظ (ممدوح) بثباته ، وهو يقول :

ـــ وما الغريب فى أن أتواجد فى فندق ، لَقِىَ فيه شخص ما مصرعه ؟.. من المؤكد أنكم قد أجريتم تحقيقًا فى هذا الشأن ، فهل أرشدكم التحقيق إلى وجود أيَّة علاقة ، بينى وبين ذلك القتيل ؟.. ثم ما العجيب فى أن ألتقط بعض الصور التذكارية ، لمستشفى رَاقَ لى تصميم مبناه ؟

مفتش الشرطة :

ـــ أتقصد تلك الصور ، التى وجدناها فى جيبك ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

مفتش الشرطة :

ـــ وبِمَ تبرِّر مقتل المصوِّر (روسيلِّى) ؟

ممدوح :

ـــ كدت ألقى عليك السؤال نفسه ، فعندما ذهبت

لتسلُّم الصور ، كان (روسيلّى) جثة هامدة ، ولقد هاجمنى ذلك المخبول الذى قتله ، مما اضطرَّنى للدفاع عن نفسى .

مفتش الشرطة :

ــ ولماذا كان يصرُّ على قتلك ، إلى الحدِّ الذى دفعه إلى إطلاق النار علنًا ، وإصابة الأبرياء ؟

ممدوح :

ــ إنه مجنون على الأرجح ، وأظن أنه من الأفضل أن تلقِى عليه هذا السؤال بنفسك .

مفتش الشرطة :

ــ لقد فعلت ، فأجاب بأنك تعمل لحساب المخابرات المصرية ، وأنه مكلَّف التخلُّص منك ، لحساب جهة ما .

ضحك (ممدوح) ، قائلًا :

ــ هذا يؤكِّد أنه مجنون بالفعل .

كان الجنرال (فرانكو) ، المسئول عن قضية (أنطونيونى) ، يراقب التحقيق ، عَبْرَ مرآة مزدوجة ، تسمح له برؤية ما يحدث بين (ممدوح) ومفتش الشرطة ، فى حين تبدو لهما هذه المرآة مجرَّد سطح عاكس عادى ، ولقد ضغط الجنرال زرًّا أمامه ، أضاء مصباحًا أحمر اللون ، على

مكتب مفتش الشرطة ، الذى لم يكد يراه حتى ضغط زرّ الجرس ، واستدعى اثنين من رجاله ، وأشار إلى (ممدوح) ، وهو يقول لهما فى حَنَق :

ــ اعملا على حراسة هذا الرجل ، ولا تدعاه يغادر الحجرة ، حتى أعود .

وانصرف إلى الحجرة المجاورة ، حيث كان (فرانكو) يدخِّن سيجارته ، وهو يراقب (ممدوح) فى المرآة المزدوجة ، فحيَّاه مفتش الشرطة فى احترام ، قائلًا :

ــ فى خدمتك يا سيِّدى .

التفت إليه (فرانكو) ، قائلًا :

ــ إنك تدور فى دائرة مغلقة ، مع هذا الرجل .

مفتش الشرطة :

ــ إنه يرفض تمامًا الكشف عن هُوِيَّته ، أو طبيعة مهمَّته ، ولكننى سأجبره على الاعتراف .

فرانكو :

ــ لست أظنُّك ستنجح فى هذا .. أطلق سراحه .

نظر إليه مفتش الشرطة فى دهشة ، وهو يردِّد :

ــ أطلق سراحه ؟!.. ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه (فرانكو) فى حسم :

ــ نفِّذ ما آمرك به .. هذه النوعية من الرجال يصعب إجبارها على الإدلاء باعتراف ، مهما بذلت من جهد أو وسائل .. إنك تستمع إلى رأى رجل يمتلك ثلاثين عامًا من الخبرة فى عمل الشرطة .

مفتش الشرطة :

ــ ولكنه عنصر حيوى فى القضية .

فرانكو :

ــ وكيف يمكنك أن تفيد من هذا ؟.. إنك لا تملك دليل إدانة واحدًا ، والأوراق التى يحملها لا تدينه ، بل تؤكِّد أنه بالفعل رجل أعمال مصرى ، وليس أحد عملاء المخابرات .. ظاهريًّا على الأقل .. ثم إن الرجل الذى سعى لقتله قاتل محترف ، ومن المؤكَّد أن المخابرات الأسترتانية ، التى استأجرته ، قد أمَّنت نفسها ضد اعترافه ، حتى ولو أكَّد عمله لحسابها ، بالإضافة إلى استحالة إثبات هذا .. إننا نستطيع احتجاز القاتل بالطبع ، فلدينا كُومَة من التهم له ، أما الآخر ..

قال مفتش الشرطة فى سرعة :

ــ نستطيع التحفُّظ عليه لأطول وقت ممكن ، بصفته شاهد عيان ، و .....

قاطعه (فرانكو) :

ــ لا .. لست أرغب فى الاحتفاظ به كشاهد .

ثم استطرد فى خُفُوت :

ــ ولو أردت الحقيقة ، فإننى أريد هذا الرجل حرًّا طليقًا ، فوجوده فى الخارج سيدفع الأسترتانيين للاهتمام به ، ومحاولة التخلُّص منه مرَّة ثانية ، مما سيحوِّل اهتمامهم بعض الوقت عن (أنطونيونى) ، ويمنحنا فى الوقت ذاته فرصة مراقبة لُعبة الثعلب والكلاب هذه ، واصطياد الجميع بفخٍّ واحد ، عندما تحين اللحظة المناسبة .. أو بتعبير آخر ، هذا يمنحنا فرصة وضع البيض كله فى سلَّة واحدة .. هل فهمت ؟

مفتش الشرطة :

ــ أنت تريد إخراجه كطعم إذن !

فرانكو :

ــ نعم .. كطعم للجميع .. للأسترتانيين والمصريين ، ولنفسه أيضًا ، ففى اللحظة المناسبة سنلقى القبض على الجميع ، وستكون لدينا قضية مُحْكَمَة ، مؤيَّدة ومدعومة

بالحقائق والأسانيد ، التى تثبت أن المصريين والأستراتانيين ، قد اتخذوا عاصمتنا ساحة قتال جديدة لهم .. القضية كما ترى أكبر من أن نفسدها بالبحث عن حقيقة رجل ، ندرك هُوِيَّته جيِّدًا .

صمت (فرانكو) قليلًا ، فى حين رمقه مفتش الشرطة فى إعجاب واحترام حقيقيين ، حتى استطرد هو فى حزم :

ـ هيَّا .. أطلق سراح الرجل ، ولْنَرَ من هو بالفعل (ممدوح عبد الوهاب) .. هيَّا ..

* * *



٦ ــ عملية تضليل ..

لم يخفَ عن (ممدوح) السبب الحقيقى لإطلاق سراحه ، فقد أدرك جيِّدًا أن الشرطة الإيطالية ستتعقَّب خطواته ، وستصنع منه طعمًا ؛ لكشف الصراع بينه وبين الأستراتانيين ، حول من يصل أوَّلًا إلى (أنطونيونى) ؛ لذا فقد آثر الهدوء ، طَوال اليومين التاليين ، ولعب دور السائح العادى ، حيث راح يتنقَّل بين الأماكن السياحية فى (روما) ؛ لالتقاط بعض الصور التذكارية ، دون أن يغفل عن ذلك الفريق الذى يتعقَّبه ، من رجال الشُّرطة الإيطالية ، والمخابرات الأستراتانية ..

وبينما كان (ممدوح) يقف فوق أحد أبراج القصور القديمة ، متطلِّعًا إلى الحديقة الرومانية ، التى أقيمت فى عهد الإمبراطور (سيتروس) ، وقد خلا البرج من السائحين ، اقترب منه رجل وهمَّ بدفعه من فوق أسوار البرج ، لولا أن لمح (ممدوح) ظل الرجل ، فمال جانبًا فى سرعة ، وترك اندفاعة



ولكن (ممدوح) قبض على كاحلى الرجل فى قوة ، بحيث منعه من السقوط

الرجل تضربه بالسور ، ثم عاجله بلكمة عنيفة ، سقط الرجل معها من فوق البرج ، ولكن (ممدوح) قبض على كاحلى الرجل فى قوة ، بحيث منعه من السقوط ، وقال فى صرامة :

ــ أخبرنى من أرسلك إلى هنا ، فقد سئمت تلك الألعاب الصبيانية السخيفة ، وليواجهنى صاحبها وجهًا لوجه ، فهذا أفضل .

سمع فى تلك اللحظة وقع أقدام تقترب ، فجذب الرجل من ساقيه ، وأعاده إلى البرج ، ثم دسَّ ورقة صغيرة فى جيبه ، وهو يقول :

ــ ها هو ذا عنوانى .. سأكون هناك فى العاشرة مساء ، وحتى الصباح ، ومن الأفضل أن تدور اللُّعبة بعيدًا عن أعين الشرطة .

ظهر أصحاب وقع الأقدام ، وكانوا ثلاثة ، أحدهم رجل شرطة ، فابتسم (ممدوح) ، وصافح الرجل ، كما لو كانا صديقين قديمين ، وهو يقول :

ــ وداعًا يا عزيزى (بنيتو) ، ولا تنس أن تخبر (ماما) بالموعد ، وتطمئنها على سلامتك .

كظم الرجل غيظه وهو يصافح (ممدوح) ، ثم انصرف ،

فى حين اتجه (ممدوح) إلى رجل الشرطة ، الذى يراقبه من طرف خفِىّ ، ودسّ سيجارة بين شفتيه ، وهو يقول له :

ـــ أأجد لديك ثقابًا ؟..

أشعل الشرطى سيجارة (ممدوح) ، الذى شكره مبتسمًا ، وغادر البرج ، فأسرع الرجل يتبعه ، ثم لم يلبث أن وقف حائرًا ، وقد بدت أمامه مجموعة ضخمة من الدهاليز ، اختفى وسطها (ممدوح) ، وراح الشُرطى يتلفّت حوله ، وهو يحكُّ رأسه ، ثم لم يلبث أن التفت فى سرعة ، عندما ربّت شخص ما على كتفه ، واتسعت عيناه فى دهشة ، عندما وقع بصره على (ممدوح) ، الذى يبتسم فى سخرية ، ويقول :

ـــ من حُسْنِ حظّى أن عثرت عليك ، فلقد انطفأت سيجارتى ، وأحتاج إلى قدّاحتك مرّة أخرى .

أخرج الرجل قدّاحته ، وحاول إشعالها فى غضب ، إلا أنه لم يفلح ، فالتقط منه (ممدوح) القدّاحة ، وأشعل سيجارته فى هدوء ، ثم أعاد القدّاحة إلى الشُرطى ، وقال وهو يحتفظ بنفس الابتسامة الساخرة :

ـــ أشكرك .. وبالمناسبة .. إننى سأسلك هذا الاتجاه ، فلا تفقد طريقك .

ومضى فى طريقه ، تاركًا الشُرطى يتميّز غيظًا ..

* * *

فى محاولة لتضليل رجال الشرطة ، دخل (ممدوح) مدينة الملاهى ، وراح يتنقّل من لُعبة إلى أخرى ، ولكن دون جدوى ، فلقد كان هناك رجلان يتعقّبانه خطوة خطوة ، حتى دخل المكان المعروف باسم (بيت الأشباح) ، حيث يسُود ظلام دامس ، وتتوالَى الصور والمؤثرات الحسية ، لتبعث الرُّعب فى قلب روّاد المكان ، فدخل أحد الرجلين خلفه ، وَبَقِىَ الآخر فى الخارج ، خشية أن يفلت (ممدوح) ، الذى سمع الرجل المجاور له يرتعد ، وأسنانه تصطكّ رُعبًا ، فسأله :

ـــ هل تشعر بالخوف إلى هذا الحدّ ؟

تمتم الرجل :

ـــ كثيرًا .. لقد دخلت إلى هنا ؛ لأثبت لزوجتى أننى لست جبانًا ، ولكننى أشعر بخوف جَمّ بالفعل .

التمع فى تلك اللحظة وميض قوى ، كشف عن هيكل عظمى بشع ، يتدلّى على نحو مُرعب ، فأطلق الرجل صيحة فزع ، وهتف :

ـــ يبدو أنه من الأفضل أن أغادر هذا المكان .

قال (ممدوح) :

ـــ وتبدو أمام زوجتك جبانًا رعديدًا .

هتف الرجل :

ـــ هذا أفضل من أن أصاب بسكتة قلبية هنا .

أمسك (ممدوح) ذراع الرجل فى قوة ، وهو يقول :

ـــ لا .. لن تغادر هذا المكان .

هتف الرجل فى رعب :

ـــ دَعْنى .. ماذا تريد منِّى ؟

أخرج (ممدوح) من جيبه رشاشة صغيرة ، دفع الرَّذَاذ منها فى وجه الرجل ، وهو يقول :

ـــ معذرة ، ولكننى أحتاج إلى بقائك هنا .

سقط الرجل فاقد الوعى ، فأسرع (ممدوح) يستبدل بثيابه ثياب الرجل ، معتمدًا على الظلام الدامس ، ووضع على وجهه شاربًا ولحية مستعارين ، وانتهز فرصة خروج بعض الأشخاص ، ممن لم تحتمل أعصابهم البقاء ، واندسَّ بينهم ، مخفيًا وجهه بمنظار داكن ، وتجاوز الشرطى الذى يحرس المكان من الخارج ، فى حين بقى الشرطى الآخر فى الداخل ، يلقِى نظرات سريعة ، مع كل وميض لحظى ، على الرجل الفاقد الوعى ، فى مقعد (ممدوح) ، وهو يظنّه بطلنا ، الذى ترك سيارته أمام باب مدينة الملاهى ، واستقلَّ واحدة من سيارات الأجرة ، وانطلق بها إلى ذلك المكان ، الذى حدَّده للأسترتانى من قبل ..

وكان من الواضح أن الليلة ستكون طويلة .. وقاسية ..

* * *

٧ ـــ خُطَّة جريئة ..

توقَّفت سيارة سوداء فارهة ، أمام إحدى مقابر السيارات القديمة[*] ، وهبط منها أربعة أشخاص ، يتقدَّمهم (دانى) ، الذى تطلَّع إلى عشرات السيارات القديمة والمحطَّمة ، وأحد رجاله يقول :

ـــ مكان ممتاز لنصب الفخاخ .

تطلَّع إليه (دانى) ، قائلًا فى استخفاف :

ـــ لنا أم له ؟

قال شخص آخر :

ـــ قد لا يكون وحده .

أجابه (دانى) فى خفوت :

ـــ (ممدوح عبد الوهاب) ، يعمل وحده عادة .

ثم رفع صوته ، هاتفًا :

(*) مقبرة السيارات : هى مكان لتجميع السيارات القديمة والمعطبة ، للتخلُّص منها ، أو تحويلها إلى خردة .

— لقد وصلنا .. لو أنك هنا فلتخرج للقائنا ، ولنتناقش ما تريده منّا .

لم يجاوبه سوى صدى صوته ، ثم عاد الصمت يسود المكان ، فأشار إلى أعوانه إشارة خاصة ، تناول كل منهم سلاحه على أثرها ، وسلك كل منهم مسلكًا مختلفًا ، داخل مقبرة السيارات ، فى حين بقى هو فى مكانه ، وتحسّس مسدّسه تحت إبطه ، قبل أن يهتف مرّة أخرى فى سُخرية :

— لا معنى لبقائك داخل مقبرة السيارات هذه .. نستطيع أن نقودك إلى مقبرة أفضل .

فجأة ، التصقت فُوّهة مسدّس باردة برأسه ، وأتاه صوت من خلفه يقول :

— لا مجال للحديث يا عزيزى ، فأمامنا بعض العمل .

وعلى الرغم من دهشة (دانى) وتوتّره ، إلا أنه حاول التقاط مسدّسه من تحت إبطه ، ولكن (ممدوح) ضغط بفُوّهة مسدّسه على مؤخرة رأس (دانى) ، وهو يقول :

— قبل أن تلمس مسدّسك ، ستكون رصاصة مسدّسى قد اخترقت رأسك .. هيّا .. ضع يديك فوق رأسك ، قبل أن أفقد صبرى .

أطاعه (دانى) فى حَنَق وسُخط ، فأداره (ممدوح) إليه ، وانتزع مسدّسه ، وألقى به بعيدًا ، وهو يسأله :

— كنت تظنّنى أختبئ داخل مقبرة السيارات .. أليس كذلك ؟ .. كنت أعلم أن هذا سيخدعكم ، فالمكان يبدو مثاليًا لنصب الفخاخ ، مما سيجذب انتباهكم إليه حتمًا ، فى حين اختبأت أنا خلف هذه الشجرة الكبيرة ، التى لم تلفت انتباهكم ، حتى رأيتك ترسل رجالك داخل المقبرة ؛ للتخلص منّى ودفنى فيها ، كما لو أننى مجرّد غِرٍّ ساذج .. ولكن ما دمت ترغب فى اللّعب فسأشاركك لُعبتك .. هيّا .. اركب السيارة وتولَّ القيادة .

تردَّد (دانى) لحظات ، ولكن (ممدوح) لكَزَهُ بماسورة مسدّسه ، قائلًا :

— لا تحاول كسب الوقت ، حتى يحضر رجـالك ، فسأطلق النار عليك ، فور ظهور أحدهم .. وحياتك مرهونة — فى الواقع — بذلك أقصى جهدك ؛ للابتعاد عن هنا .

وإزاء تلك النّبرة القاطعة الحازمة ، لم يكن أمام (دانى) سوى الامتثال ، فجلس خلف عجلة قيادة السيارة ، وانطلق بها ، و (ممدوح) يجلس إلى جواره ، ويلصق مسدّسه بجانبه ، فى حين اندفع أحد رجال (دانى) خارج مقبرة السيارات ، على صوت ابتعاد السيارة ، وراح يهتف مناديًا قائده ، ثم حكّ رأسه ، فى حَيْرة مما يحدث ..

وأمام أحد أكشاك الهاتف ، أمر (ممدوح) (دانى) بالتوقُّف ، وناوله كبسولة صغيرة ، أمسكها (دانى) بين سبَّابته وإبهامه ، وهو يقول فى قلق :

ــ ما هذا ؟

ممدوح :

ــ كبسولة صغيرة ، ستبتلعها الآن دون ماء ، واطمئن ، فهى لن تقضى عليك ، وإن كنت تستحق هذا .. إنها فقط ستسلمك إلى غيبوبة عميقة ، تمتد إلى اثنتى عشرة ساعة ، وستمنحك صورة مرضية صناعية ، ولكنك ستنهض بعد مضى الاثنتى عشرة ساعة سليمًا معافى .

قال (دانى) معترضًا :

ــ أتنتظر منِّى أن أصدِّقك؟.. لا .. لن أبتلع هذه الكبسولة .

ممدوح :

ــ لا بأس .. يمكننا أن نستعيض عنها برصاصة فى قلبك ، ولكن فى هذه الحالة لا يمكننى أن أضمن لك النجاة .. هيَّا .. إنه اختيارك .

قالها وهو يجذب زِناد مسدَّسه قليلًا ، فهتف (دانى) فى يأس :

ــ انتظر .. سأبتلعها .

ممدوح :

ــ هكذا يكون حديث العقلاء .. ألم أقُل لك إن اللُّعبة ستكون ممتعة ؟

ابتلع (دانى) الكبسولة ، وبدأ يفقد وعيه تدريجيًّا ، حتى غاب فى غيبوبة عميقة ، فغادر (ممدوح) السيارة ، ورفع سمَّاعة الهاتف المجاور ، وقال :

ــ آلو .. أريد سيارة إسعاف على وجه السرعة ، فى شارع (دانتى) ؛ فلقد سقط صديقى فى غيبوبة مفاجئة .. أرجوكم .. أسرعوا .. إنه مريض بالقلب .

أنهى المحادثة ، وعاد يجلس إلى جوار (دانى) الفاقد الوعى ، وأبدل ملامحه فى سرعة ، فوضع على عينيه منظارًا ، وأضاف إلى أنفه شاربًا كثًّا ، وصفَّف شعره على نحو مختلف ، ولم يكد يلمح سيارة الإسعاف ، حتى قفز من السيارة ، وراح يلوِّح بيده هاتفًا :

ــ أسرعوا أرجوكم .. إن حالته سيئة .

أسرع طبيب الإسعاف يفحص (دانى) ، ثم قال :

ــ حالته متدهورة بالفعل .. أهناك طبيب يتابع مرضه ؟

ممدوح :

— لست أدرى فى الواقع .. ولكن من الأفضل أن ننقله على الفور إلى مستشفى (دازرينى) ، فهو الأقرب هنا .

قال الطبيب :

— هذا ما سنفعله .. هل أنت أحد أقاربه ؟

(ممدوح) :

— نعم .. وسأصحبه إلى هناك .

جلس (ممدوح) داخل السيارة ، إلى جوار (دانى) ، الممدَّد فاقد الوعى ، ورسم آيات الشفقة والتعاطف على وجهه ، فى حين أطلقت سيارة الإسعاف بُوقها المميَّز ، وهى تنطلق نحو المستشفى ، وأمام بوَّابة المستشفى ألقَى أحد رجال الشرطة نظرة داخل السيارة ، ثم سمح لها بالدخول ، حتى توقَّفت أمام قسم حوادث الطوارئ ..

وأدرك (ممدوح) أنه قد نجح فى هذه الجولة ..

لقد استخدم (دانى) نفسه لخداع الأسترتانيين ، وبلوغ الهدف ..

ففى الطابق الثالث من المستشفى ، كان يرقد الرجل ، الذى يحمل فى أعماقه السرَّ كله ..

(أنطونيونى) ..

* * *

٨ ــ المفاوضة ..

تسلَّل (ممدوح) داخل المستشفى ، إلى حجرة الأطباء ، حيث عثر فيها على معطف أبيض ، من معاطف الأطباء ، فارتداه سريعًا ، وغادر حجرة الأطباء فى هدوء ، وقابلته خارجها إحدى ممرضات المستشفى ، فنظرت إليه فى دهشة ، وهى تقول :

— جئت أبحث عن الدكتور (ألفونسو) ، ولكن .....

قاطعها (ممدوح) فى لهجة حاسمة :

— ليس هناك وقت للاستفسارات .. أمامى عملية جراحية عاجلة .

أفسحت له الطريق فى سرعة ، إلا أنها لم تلبث أن هتفت :

— لحظة يا سيِّدى .

التفت إليها مصطنعًا الغضب ، وهو يقول :

— ماذا هناك ؟

أشارت إلى الجهة العكسية ، قائلة :

ـ حجرة العمليات الجراحية فى هذا الاتجاه .

سعل قائلًا :

ـ آه !! الواقع أننى حديث العهد هنا .

واتخذ الاتجاه الآخر فى خطوات سريعة ، والممرضة تتابعه ببصرها فى دهشة ، واتجه هو إلى مكتب الاستعلامات ، والتقط دفتر أحوال المرضى ، وراح يقلّب أوراقه ، بحثًا عن رقم حجرة (أنطونيونى) ، فسألته الممرضة المسئولة :

ـ عمَّ تبحث يا سيِّدى ؟

اعتدل فى وقفته ، وقال فى هدوء :

ـ ما رقم حجرة ذلك الرجل ، الذى يحيطونه بحراسة مكثَّفة ؟

الممرِّضة :

ـ أتقصد (أنطونيونى) ؟.. إنه يقيم فى الحجرة رقم (٣٠٢) .

ممدوح :

ـ فى أى طابق هى ؟

الممرِّضة :

ـ فى الطابق الخامس ، ولكن لماذا تسأل ؟

ابتسم قائلًا ، وهو يغمز لها بعينه :

ـ إننى أنوِى اختطافه .

ضحكت فى مرح ، وشاركها هو ضحكتها ، ثم تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وقال :

ـ أتعلمين أنك لطيفة وجذَّابة للغاية ؟.. أظنّنا سنلتقِى كثيرًا .

ولوَّح بكفِّه مبتسمًا ، واتجه نحو المصعد ، واستقلَّه إلى الطابق الخامس ، تاركًا الممرضة ترمقه فى إعجاب ، حتى سألتها زميلتها :

ـ من هو ؟.. إننى لم أرَه فى المستشفى من قبل .

أجابتها الممرضة مبهُورة :

ـ إنه حديث العهد هنا ولا شك ، ولكنه ظريف للغاية ، ويجيد فن المزاح ، وليس متعاليًا كالآخرين .

نظرت إليها زميلتها ، وقالت فى خُبث :

ـ من الواضح أنه قد حازَ إعجابك .

أجابتها الممرِّضة ، وهى ما تزال مأخوذة بابتسامة (ممدوح) الجذَّابة :

ـ لست أنكر هذا .

فى نفس الوقت كان (ممدوح) يصعد إلى الطابق الخامس من المستشفى ، حيث ميَّز بسرعة حجرة (أنطونيونى) ، من الرجال الثلاثة الذين يقومون على حراستها ، وتقدَّم نحو الحجرة ، وهو يقول للرجال الثلاثة فى جدِّية :

ـــ ألم يحضر الدكتور (مورو) بعد ؟

نظر إليه الثلاثة فى دهشة ، وسأله أحدهم :

ـــ ومن هو الدكتور (مورو) هذا ؟

قال (ممدوح) فى حَنَق ، وهو يزيح الرجل من أمام الباب :

ـــ أيوجد فى (إيطاليا) كلها من يجهل الدكتور (مورو) ؟.. من أى كوكب أنت يا رجل ؟

والتفت إلى آخر ، مستطردًا فى حزم :

ـــ لو اتصل الدكتور (مورو) فأبلغه أننى أتابع الحالة من الداخل ، وعندما تصل الممرضة ، بعد عشر دقائق ، أفسحوا لها فى الطريق فى سرعة ، ولا داعى لمغازلتها ، كما يحدث دائمًا ، فالمريض يمر بمرحلة حرجة للغاية .

ودلف إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، فتطلَّع الثلاثة بعضهم إلى بعض فى حَيْرَة وارتباك ، حتى قال أحدهم :

ـــ هذا الطبيب متغطرس للغاية .

قال الثانى :

ـــ من يظن نفسه ، حتى يتحدَّث إلينا على هذا النحو ؟

قال الثالث :

ـــ أيظنّنا نستحق بعض اللَّوم ؟

الأوَّل :

ـــ لماذا ؟

الثالث :

ـــ لأننا نجهل من هو الدكتور (مورو) .

الثانى :

ـــ ومن هو الدكتور (مورو) هذا ؟

الثالث :

ـــ لست أدرى ، ولكن من الواضح أنه شخصية بالغة الأهمية .. ألم ترَ كيف يتحدَّث عنه هذا الطبيب المتغطرس ؟

فى هذه اللحظات كان (ممدوح) يقتـــرب من فراش (أنطونيونى) ، الذى يغطُّ فى نوم عميق ، ويخرج من جيب سترته مِحْقَنًا من البلاستيك ، يحوى شيئًا من سائل شفاف ، ثم يهزُّ الرجل ، قائلًا :

ـــ استيقظ يا (أنطونيونى) .



كان (ممدوح) يقترب من فراش (أنطونيونى) ، الذى يغطُّ فى نوم عميق ، ويخرج من جيب سترته محقنًا من البلاستيك ..

فتح الرجل عينيه فى توتُّر ، ولم يكذ يلمح المعطف الأبيض والمحقن ، حتى قال :

ــ لقد أخبرونى أننى لم أعد أحتاج إلى حقن أخرى .

قال (ممدوح) هامسًا :

ــ هذا لا يعنى أن حالتك قد تحسَّنت .

تطلَّع إليه (أنطونيونى) فى تمعُّن ، بعد أن تخلَّص من أثر النوم ، وقال فى قلق :

ــ من أنت ؟.. إننى لم أرَكَ هنا من قبل ، ولكنتك تبدو غريبة .. إنك لست أحد أطباء المستشفى .

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ــ أنا من إدارة العمليات الخاصة المصريـــة ، واسمى (ممدوح عبد الوهاب) ، وأنا هنا خِصِّيصًا لمقابلتك .

هبَّ الرجلِ جالسًا ، على طرف فراشه ، وتراجع فى ذُعر ، وهو يتطلَّع إلى المحقن قائلًا :

ــ وكيـف وصلت إلى هنـا ؟.. هل تنوى تخديـــرى واختطافى ؟

وضع (ممدوح) يده على فم (أنطونيونى) ، ليَخْفِضْ من صوته ، وهو يقول :

ــ اهدأ أوَّلًا ، فأنا هنا للتفاوُض معك ، والمحقن ليس لك .

ولكن هذا لم يبدِّد مخاوف (أنطونيونى) ، وإنما جعله يقول فى خُفوت :

ــ لا .. أنتم تسعون لاختطافى ؛ للحصول على اسم الجاسوس مجانًا .

ممدوح :

ــ كنت أفضِّل هذا فى الواقع ؛ فأمثالك ممن يعملون لحساب من يدفع أكثر ، لا يستحقون التفاوض ، ولكن أوامرى تقتضى التفاوض معك ؛ للحصول على اسم الجاسوس .

هدأت نفس (أنطونيونى) ، وأطلَّ الجشع من عينيه ، وهو يقول :

ــ هل أحضرت المبلغ المطلوب معك ؟

ــ أأنت مجنون ؟.. كيف يمكننى أن أحضر مبلغًا كهذا هنا ؟

ــ ليست لدىَّ أيَّة أسماء إذن .

ــ يمكننى منحك شيكًا ، بمجرَّد تقديم الاسم .

ــ آسف يا عزيزى .. لست من هُوَاة التعامل بالشيكات .

ــ لا وقت لمثل هذه التُّرَّهات ؛ فرجال الشرطة فى الخارج ، والأسترتانيون ينتظرون الفرصة المناسبة ، لاستكمال ما بدءوه معك .

ــ إننى واضح فى حديثى .. لن تحصلوا على الاسم ، قبل أن أعدَّ بنفسى مليونى دولار ، ولا تنس أننى أراهن بحياتى مقابل هذا .

ــ أأنت مصرٌّ على موقفك هذا ؟

ــ إننى مستعد للموت بأيدى الأسترتانيين ، دون أن أتخلَّى عن دولار واحد .

زفر (ممدوح) فى ضيق ، قائلًا :

ــ كنت أعلم أنك ستصرّ على هذا ، وأنا مستعد ــ على أيَّة حال ــ لتسليمك المبلغ المطلوب غدًا ونقدًا ، مقابل اسم الجاسوس ، ولكن ليس هنا .

ــ ألديك خطَّة معيَّنة ؟

ــ قُلْ لى أوَّلًا : هل تسمح حالتك الصحيَّة بمغادرة المستشفى ؟

صاح (أنطونيونى) :

ــ أأنت مجنون ؟!.. أتريد منى أن أغادر المستشفى ، وأولئك الـ .....؟

قاطعه (ممدوح) ، وهو يضع يده على فمه ، ليخفض من صياحه مرّة أخرى :

ــ أجبنى على السؤال فحسب .

صمت (أنطونيونى) برهة ، ثم قال :

ــ أظن حالتى الصحية تسمح بذلك الآن .

قال (ممدوح) فى حزم :

ــ استعد للخروج من المستشفى إذن .

وهمس لنفسه فى توتّر :

ــ والدخول إلى الجحيم ..

* * *



٩ ــ الهروب الدامى ..

فتح (ممدوح) باب الحجرة ونادى أحد الحرّاس فى الخارج ، قائلًا :

ــ ألم تحضر الممرّضة بعد ؟

أجابه الحارس :

ــ لم نَرَ أيّة ممرّضة منذ ساعة .

ممدوح :

ــ فليحضر أحدكم لمعاونتى فى حقن المريض إذن ، فهو يرتجف ، وحالته سيئة للغاية .

تطوّع أحدهم قائلًا :

ــ حسنًا .. سآتى لمعاونتك .

دلف الحارس إلى الحجرة ، حيث كان (أنطونيونى) يرتجف تحت غطاء فراشه ، متظاهرًا بالحمّى ، فتطلّع إليه الحارس ، قائلًا :

ــ يبدو أنه فى حالة سيئة بالفعل .

ممدوح :

ـ حاول أن تمسك به ، وتثبِّت ذراعه ، حتى يمكننى حَقْنه .

أطاع الرجل الأمر ، وأمسك ذراع (أنطونيونى) فى قوة ، وتظاهر (ممدوح) بتأهُّبه لحقن (أنطونيونى) ، ثم غرس إبرة المحقن فى ذراع الشُّرطى ، الذى حدَّق فى وجهه ذاهلًا ، وكاد يطلق صرخة كبيرة ، لولا أن كتم (ممدوح) فمه بكفِّه ، وكبَّل (أنطونيونى) ذراعيه من الخلف ، حتى فقد الشرطى وعيه ، فانتزع (ممدوح) مسدَّس الشُّرطى ، وأرقد الرجل على الفراش ، وهو يقول لـ (أنطونيونى) :

ـ هيَّا .. أسرع بارتداء ملابسه .

وبعد قليل ، قال أحد الشرطيين الواقفين بالباب لزميله :

ـ لماذا تأخَّر (مارك) هكذا فى الداخل ؟

وفجأة ، تناهَى إلى مسامعه ومسامع زميله صوت ، أشبه بأنين مكتوم ، جعل كل منهما ينتزع مسدَّسه ، وهما يقتحمان الحجرة فى عُنف ، حيث رأيا زميلهما جاثيًا على ركبتيه ، ووجهه إلى الحائط ، وهو يطلق ذلك الأنين ، فهتف أحدهما : ـ ما هذا يا (مارك) ؟

أتاهما صوت من خلفهما ، يقول :

ـ ألقيا مسدَّسيكما أرضًا ، وارفعا أيديكما فوق رأسيكما ، وإلا فجَّرت جمجمتيكما ، ونسفتهما نسفًا .

ألقى الرجلان مسدَّسيهما ، والتفتا يواجهان (ممدوح) ، فى حين نهض هذا الذى ظنَّاه زميلهما ، واتضح لهما أنه (أنطونيونى) ، الذى عمد إلى إحكام وثاقهما ، مستخدمًا ملاءة السرير ، وكمَّم فميهما جيِّدًا ، وقال لهما (ممدوح) :

ـ يؤسفنى أن أضطر لفعل هذا مع رجال شرطة ، ولكننى مضطر ، وزميلكما الثالث غائب عن الوعى ، بفعل مخدِّر بسيط ، وسيسترد وعيه بعد ساعة .

وقدَّم لـ (أنطونيونى) منظارًا داكن اللون ، وشاربًا مستعارًا ، وهو يستطرد :

ـ استخدم هذه الأشياء ، لتغيِّر ملامحك بعض الشىء ، قبل أن نغادر الحجرة .

وبينما كان (أنطونيونى) يستعد للتنكُّر ، فُتِحَ باب الحجرة بغتة ، ودخل منه أحد الأطباء ، قائلًا :

ـ كيف حالك اليوم يا .....

احتبست الكلمات فى حلقه ، عندما وقع بصره على

المسدَّس فى يد (ممدوح) ، والرجلين الموثقين على الأرض ، فى حين ابتسم (ممدوح) ، وقال :

ـــ طيب .. رائع .. هذا ما كنت أحتاج إليه بالفعل .. خُذْ معطفه يا (أنطونيونى) ، فسيسهّل لك ارتداؤه الحركة ، داخل أرجاء المستشفى .

ارتدى (أنطونيونى) معطف الطبيب ، واستقلَّ مع (ممدوح) المصعد إلى الطابق الأرضى ، حيث وجد سيارة الإسعاف ، وسائقها منشغل بمغازلة إحدى الممرضات ، فتسلَّل الاثنان إلى الجهة الأخرى من السيارة ، وقفز (ممدوح) يحتل مقعد قيادة سيارة الإسعاف ، واحتلَّ (أنطونيونى) المقعد المجاور له ، وقال فى إحباط :

ـــ إنه لم يترك مفتاح السيارة .

قال (ممدوح) ، وهو يخرج من جيبه أداة صغيرة :

ـــ لن تكون هذه هى المشكلة .

ودسَّ آلته الدقيقة فى ثقب المفتاح ، وأدار المحرِّك ، فالتفتت الممرضة إلى السيارة ، وقالت فى دهشة :

ـــ أليست هذه سيارتك ، التى تغادر المستشفى ؟

ابتسم السائق ، قائلاً :

ـــ بل هو قلبى ، الذى يغادر صدرى وينتقل إلى يديك ، و .....

انتبه فجأة إلى صوت محرِّك سيارته ، والتفت ليراها تغادر المستشفى ، فأطلق صرخة هلع ، وانطلق يعدُو خلف السيارة ، ويصرخ طالبًا إيقافها ، ولكن (ممدوح) أطلق بُوق السيارة المميَّز ، وهو يطلق العِنان للسيارة ، فابتسم (أنطونيونى) قائلًا :

ـــ يالك من داهية !.. لقد أفلتنا من بين أيديهم .

قال (ممدوح) ، وهو يركِّز نظره على الطريق :

ـــ لم يَحِن وقت التهنئة بالنجاة بعد .. من الضرورى أن نستبدل هذه السيارة بأسرع وقت ، قبل أن تطاردنا قافلة من الذِّئاب ..

(أنطونيونى) :

ـــ أنت محقٌّ فى هذا ، لا ريب أن الشُّرطة الإيطالية ستجدّ فى أثرنا بعد قليل .

ممدوح :

ـــ ولا تنس الأسترتانيين .

انحنى (ممدوح) فى طريق ضيِّق ، انتهى بواحدة من

سيارات اللُورى ، تسدُ الطريق تمامًا ، وتمتلئ بفتحات عديدة ، جعلته يهتف بـ (أنطونيونى) :

ــ اخفض رأسك .

لم يكد ينتهى من صرخته ، حتى برزت فُوَّهات مدافع رشَّاشة من تلك الفتحات ، وانهمر وابل من الرصاص على سيارة الإسعاف ، وراح (أنطونيونى) يصرخ ويتأوَّه ، وقد أصابته بضع رصاصات ، قبل أن يختفى فى قرار السيارة ، أما (ممدوح) فقد ثبَّت جهازًا صغيرًا أسفل عجلة القيادة ، ثم دفع باب السيارة ، وجذب (أنطونيونى) من سترته ، وزحف به أسفل السيارة ، حتى قال الأخير فى ألم :

ــ كَفَى .. لن يمكننى مواصلة الفرار معك .. لقد انتهى الأمر بالنسبة لى .. لقد نجح الأسترتانيون أخيرًا فى اقتناصى ، وسيحين دورك بعد قليل .

فى نفس الوقت كان الأسترتانيون قد غادروا سيارة اللُورى ، حاملين أسلحتهم ، واتجهوا نحو سيارة الإسعاف ، واثقين من القضاء على (ممدوح) و (أنطونيونى) ، وقال (ممدوح) لـ (أنطونيونى) ، وهو يستحثّه على مواصلة الفرار معه :

ــ ابذل بعض الجهد ، فقد ننجح فى الفرار .

قال (أنطونيونى) فى يأس :

ــ حاول أنت ، فلديك عزيمة قوية ، وإن كنت أشكّ فى نجاحك هذه المرَّة .

صمت قليلًا ؛ ليلتقط أنفاسه ، قائلًا :

ــ أنت تسعى لمعرفة اسم الجاسوس .. أليس كذلك ؟.. حسنًا .. سأبُوح لك بشخصيته ، فهذا أفضل انتقام ، يمكن أن ألحقه بالأسترتانيين ، هذا إذا ما أفلحت أنت فى الفرار منهم .. هيَّا .. اقترب .

مال نحوه (ممدوح) بأُذنه ، فهمس له باسم الجاسوس ، ثم ابتسم فى سُخرية ، وقال فى ألَمٍ :

ــ عجبًا لهذه الحياة !!.. كنت أحلمُ بالرفاهية والثراء ، والحياة الرَّغدة المستقرَّة ، وهأنذا أموت ككلب أجرب ، أسفل سيارة إسعاف ، فى نفس الوقت الذى أقدّم فيه ــ لأوَّل مرَّة ــ خدمة مجانية لشخص ما .

وفارق الحياة ..

تنهَّد (ممدوح) ، وهو يغلق عينى الرجل ، ثم تدحرج من أسفل سيارة الإسعاف ، وقفز واقفًا على قدميه ، أمام

الأسترتانيين ، الذين أصابتهم الدهشة ، وأطلق رصاصة من مسدَّسه ، أصابت رأس أحدهم ، ثم انطلق يعدُو بعيدًا عن السيارة ، وصوَّب الأسترتانيون مسدَّساتهم إليه ، وهو يقفز خلف نتوء صخرى بارز ، عند حافَة الطريق ..

وأصابت الرصاصات النُّتوء الصخرى ، و (ممدوح) يختفي خلفه ، ويخرج قدَّاحته الصغيرة ، ثم يضغط زرًّا صغيرًا فيها ..

واستقبل الجهاز الصغير ، الذى ثبَّته (ممدوح) أسفل عجلة القيادة ، الإشارة اللَّاسلكية ، التى أطلقتها القدَّاحة .. ودوَّى الانفجار ..

انفجرت سيارة الإسعاف انفجارًا رهيبًا ، وأطاحت بالأسترتانيين المحيطين بها ، فى حين قفز (ممدوح) داخل سيارة اللُّورى ، وانطلق بها مبتعدًا عن المكان ..

لقد انتهت مهمَّته ..

تقريبًا ..

* * *

١٠ ـ العميل الخائن ..

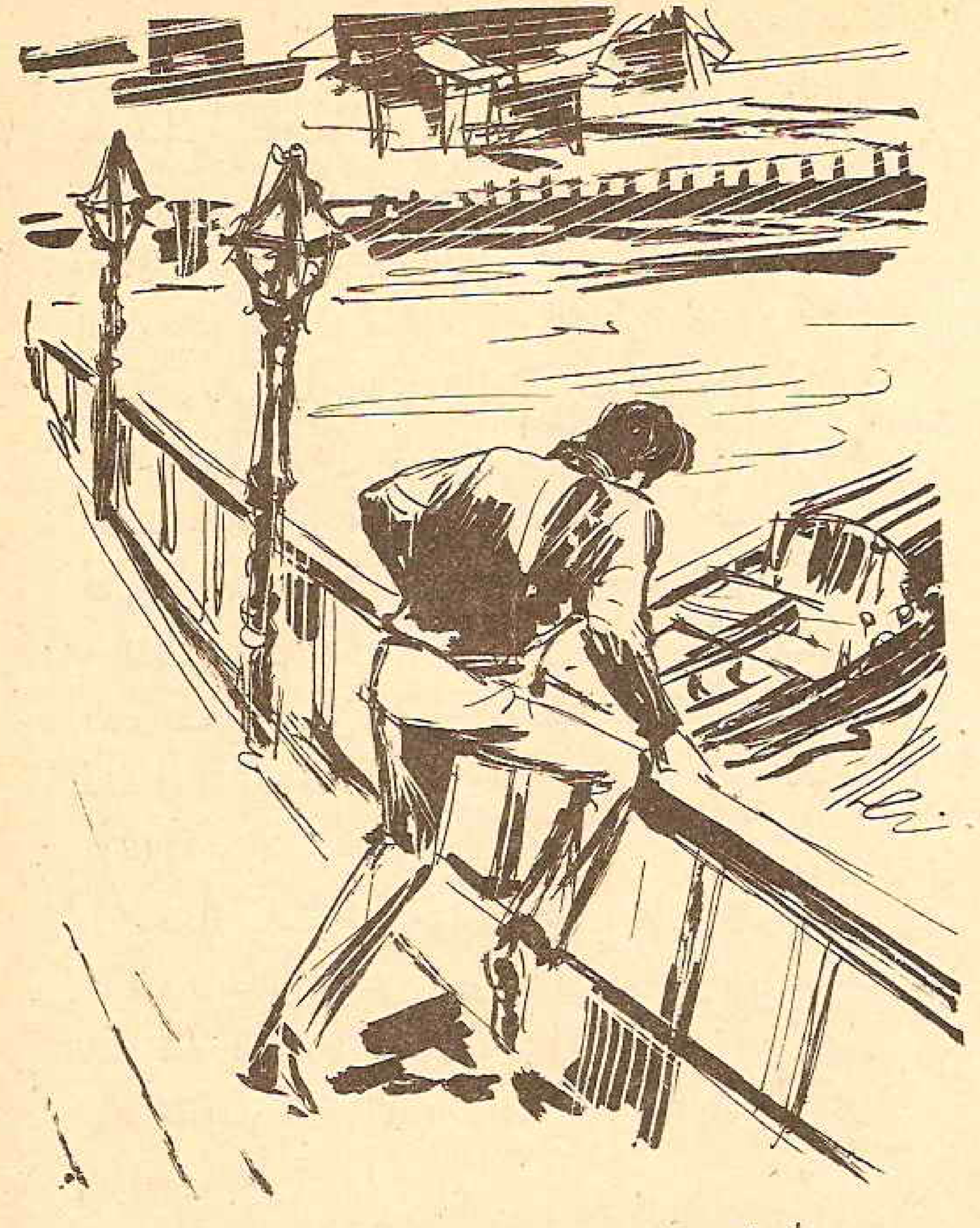
انطلق (ممدوح) ينهب الأرض نهبًا ، بسيارة اللُّورى ، حتى بلغ الطريق العام ، وهناك حدث ما يتوقَّعه ، فقد دوَّت خلفه أبواق سيارات الشرطة الإيطالية ، التى راحت تطارده فى إصرار ، ثم لم تلبث ثلاث من سيارات الشُّرطة أن قطعت الطريق أمام سيارة اللُّورى ، وأغلقت ثلاث أخرى الطريق من خلفها ، وأدرك (ممدوح) أنه قد صار محاصرًا ، وأن وقوعه فى أيدى الشُّرطة الإيطالية ، بعد كل ما أحدثه من قلاقل واضطرابات ، كفيل بإثارة أزمة ديبلوماسية ، بين الحكومتين : المصرية والإيطالية ، ولم يكن هو ليقبل إحراج حكومته على هذا النحو ، وعلى الرغم من هذا فلم يكد يلمح سيارات الشرطة الثلاث ، تسدّ مدخل النفق ، الذى ينحدر إليه الطريق ، أسفل جسر كبير ، حتى أوقف سيارته تحت الجسر تمامًا ، على نحو يُوحِى باستسلامه ، إلا أنه لم يلبث أن وثب من كابينة قيادة السيارة إلى سطحها ، فى خفَّة الفهد ،

ومن السطح إلى الحافة السفلية للجسر ، يتعلَّق بها أمام أعين رجال الشُرطة ، الذين أصابتهم الدهشة ، وجمَّدتهم لحظة ، انتزعوا بعدها أسلحتهم ، وراحُوا يطلقون النار عليه ، ولكنه كان قد استغلَّ لحظة جمودهم هذه ووثب داخل الجسر ، وراح يعدُو فوقه ، متجاوزًا البحيرة الممتدَّة أسفله ، إلا أن واحدة من سيارت الشُرطة الإيطالية اعترضت طريقه ، وبدأت تنطلق نحوه بسرعتها ..

ودون تردُّد اتجه (ممدوح) نحو سور الجسر ، ورأى أسفله سفينة سياحية صغيرة ، فوجئ به ركَّابها الثمانية يهبط عليهم من السماء ، على غير موعد ، ثم يتمدَّد هادئًا فوق مرتبة إسفنجية ، وهو يصوِّب إليهم مسدَّسه ، قائلًا :

ــ معذرة لاضطرارى مشاركتكم رحلتكم ، دون دعوة سابقة ، وأرجوكم أن تتقبَّلوا الأمر فى هدوء ، فسأريح قدمىَّ قليلًا ، ثم أنصرف فى اللحظة المناسبة .

وجد ضالَّته بعد قليل بالفعل ، فى زورق صغير ، مثبَّت إلى سور السفينة السياحية ، فألقاه فى الماء ، وقفز داخله ، وأدار محرِّكه ، وانطلق به أمام دهشة السائحين ، الذين جزم بعضهم بأن المشهد لا يعدُو كَوْنَه دورًا سينمائيًّا ، يتم تصويره دون



ودون تردُّد اتجه (ممدوح) نحو سور الجسر ، ورأى أسفله سفينة سياحية صغيرة ، فوجئ به ركَّابها الثمانية يهبط عليهم من السماء ..

علم مسبَق ، للحصول على صور لدهشتهم الحقيقية ، وأبدى البعض الآخر شكوكه فى صحة سيارات الشُرطة ، التى تطلق أبواقها فوق الجسر ، دون أن يهتمَّ أحدهم بمتابعة (ممدوح) ، الذى غادر الزَّورق البخارى عند الشاطئ ، واجتاز دَغلًا صغيرًا ، حتى بلغ الطريق العام ، واستوقف حافلة عامة ، استقلَّها دون أن يسأل عن وجهتها ، وألقَى جسده المنهك فوق أحد مقاعدها الأمامية إلى جوار سيِّدة مسنَّة ، راحت ترمقه فى فُضُول ، حتى منحها ابتسامة خاصة ، جعلتها تدير عينيها إلى النافذة ، وتتركه لشأنه ، وعلى الرغم من الإرهاق الشديد ، الذى يشعر به ، ظل (ممدوح) محتفظًا بانتباهه إلى الطريق ؛ لثقته فى أن المطاردة لم تتوقَّف بعد .. سواء من جانب الشُرطة الإيطالية أو الأسترتانيين ..

وفجأة ، استيقظت حواسه كلها ، على مرأى سيارتى شرطة تسدَّان الطريق ، وإلى جوارهما عدد من رجال الشرطة ، يفتشون السيارات المارة ، ورأى أحد رجال الشرطة يشير إلى الحافلة بالتوقُّف ، وسائقها يضغط كابحها ليوقفها بالفعل ..

وكان من الواضح أنهم يبحثون عنه ، وأن صعود رجل

الشرطة إلى الحافلة سيكشف أمره حتمًا ، وهداه تفكيره إلى فكرة غير مأمونة العواقب ، فلقد كان يحتفظ بنفس تنكُّره ، بالشارب الكثّ والمنظار الطبّىّ ، ولا ريب أن رجال الأمن بالمستشفى قد نقلوا هذه الصورة إلى الآخرين ؛ لذا فقد نزع الشارب المستعار، والمنظار الطبّىّ، وصفَّف شعره على نحو مختلف ، ثم عاد يسترخى فى مقعده ، ويسبل جفنيه فى خمول ، فى الوقت الذى صعد فيه رجلا شرطة إلى الحافلة ، وراحا يسيران بين صفَّى المقاعد داخلها ، وهما يفحصان وجوه الراكبين فى تمعن ودقَّة ، وعَبَرا (ممدوح) دون أن يتعرَّفاه ، ثم غادرا الحافلة ، وأمرا سائقها بمواصلة سيره ، فى نفس اللحظة التى التفتت فيها العجوز إلى (ممدوح) ، واتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحدِّق فى ملامحه ، التى اختلفت كثيرًا عن ذى قبل ، وكادت تطلق شهقة كبيرة ، لولا أن وضع (ممدوح) سبَّابته على فمه ، مشيرًا إليها بالصمت ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، جعلتها تلوذُ بالصمت ، حتى واصلت الحافلة رحلتها ، فقال لها (ممدوح) همسًا :

— فلنحتفظ بهذا السِّر فيما بيننا .

لم تكن الحافلة قد بلغت محطتها النهائية بعد ، عندما

نهض (ممدوح) ، وطلب من السائق التوقُّف ، فقال السائق :

ــ ولكننا لم نبلغ المحطة بعد !

ممدوح :

ــ أعلم هذا ، ولكن منزلى قريب من هذه النقطة .

أوقف السائق الحافلة ، ورمق (ممدوح) بنظرة شكٍّ كبيرة ، وقد بدا له أن صعوده وهبوطه بعيدًا عن المحطات الرئيسية ، يؤكِّد أنه الشخص الذى تبحث عنه الشرطة ، ولقد أدرك (ممدوح) أن أمره قد كُشف حقًّا ، عندما رأى العجوز تنهض من مقعدها ، وتهمس للسائق بأمر ما ، لم يشكّ (ممدوح) لحظة فى أنه أمر تبدُّل ملامحه خلال الطريق ، ولا فى أن السائق سيتوقَّف عند أوَّل هاتف عمومى ؛ ليتصل برجال الشرطة ، ويبلغهم بأمره ، فابتعد (ممدوح) عن المكان فى خُطُوات سريعة ، وسار لنصف ساعة كاملة حتى بلغ محطة سكك حديدية مزدحمة ، لمح بخبرته عددًا من المخبرين السِّرِّيِّين على رصيفها ، فدسَّ نفسه وسط فريق من لاعبى السَّلة ، طوال القامة ، وخلع سترته ، وراح يتبادل معهم بعض الأحاديث ، بحيث يبدو للمشاهد وكأنه مدرِّبهم ، حتى استقلَّ معهم القطار ، دون أن يعلم وُجهته ، ثم غادره عند توقُّفه فى أوَّل

محطة ، وفحص المحطة جيِّدًا ، حتى تأكَّد من عدم وجود رجال الشرطة أو المخبرين السِّرِّيِّين ، فاتجه نحو أقرب هاتف ، وطلب رقم هاتف طوارئ خاص ، أملاه إيَّاه رجال المخابرات المصرية ، للاتصال به عند الضرورة ، وسمع شخصًا يجيبه قائلًا :

ــ من المتحدِّث ؟

ممدوح :

ــ رقم (٧٠) .

هتف محدِّثه فى لهفة :

ــ (ممدوح) .. أين أنت ؟

أجابه (ممدوح) :

ــ سأروِى لك كل شىء ، ولكن ينبغى أن تعلم أوَّلًا أن الجاسوس هو أحد رؤساء شركة إنتاج حربى كبرى ، ويدعى (مدكور سيف الدين) .. حاول أن تبلغ هذه المعلومات إلى (القاهرة) بأقصى سرعة هذا هو المهم .

عندئذ فقط ، وعلى الرغم من أنه لم يغادر منطقة الخطر بعد ، امتلأت نفس (ممدوح) بهذا الشعور .. شعور الارتياح ..

* * *

١١ ــ الهروب إلى سويسرا ..

عَبَرَ شخص ما أكوام الصفيح الصدئ ، والزجاجات الفارغة ، وتقدَّم فى بطء نحو كوخ قديم متهالك الجدران ، وهو ينادى :

ــ (ممدوح) .. (ممدوح) ..

ثم دفع باب الكوخ ، ودلف إلى الداخل ، ولم يكد يطأ أرض الكوخ بقدمه ، حتى هبَّ الرجل الراقد فوق كُومة القش ، مصوِّبًا مسدَّسه إليه ، ثم لم يلبث أن أعاد مسدَّسه إلى جانبه ، وهو يقول :

ــ (وليد) .. متى وصلت ؟

أجابه (وليد) :

ــ منذ لحظات يا (ممدوح) ، ولكن يبدو أنك كنت مستغرقًا فى نوم عميق ، فلم تسمعنى أناديك .

ممدوح :

ــ ما آخر الأخبار ؟

وليد .

ــ لقد جابت شُهرتك الآفاق ، فشرطة (روما) كلها تبحث عنك ، ولكن اطمئن ، لقد تم ترتيب كل شئ ؛ لتهريبك ــ عَبْرَ الحدود ــ إلى (فرنسا) ، ومنها تستقلّ الطائرة إلى (القاهرة) .

ممدوح :

ــ لست أقصد هذا .. هل أبلغت المسئولين فى (القاهرة) أمر الجاسوس ؟

أجابه (وليد) فى أسف :

ــ نعم ، ولكن الأسترتانيين نجحوا فى تحذيره قبل هذا للأسف ، فتمكَّن من السفر إلى (سويسرا) ، حيث سينتقل منها إلى (أسترتان) .

انتفض (ممدوح) ، وقال فى غضب :

ــ ماذا تقول ؟.. أيَعْنِى هذا أن كل ما بذلته للإيقاع به قد ذهب هباءً ؟

وليد :

ــ ليس لدينا ما نفعله الآن .. لقد أوقفنا خُطُورته على أمننا القومى على الأقل .

ممدوح :

ـ هذا لا يكفى ، فلقد ارتكب هذا الخائن الكثير من الخطايا ، فى حقِّ الوطن ، ونقل أسرارًا هامة وحيوية لأعدائنا ، ومن الضرورى أن يدفع ثمن هذا .. اسمع يا (وليد) : هل يمكنك تبديل خُطَّة هروبى إلى (فرنسا) ؟

نظر إليه (وليد) فى دهشة ، وقال :

ـ ماذا تعْنِى ؟.. لقد أعددت كل الترتيبات اللازمة ، وتم الاتفاق مع عدد من الأشخاص ، و .....

قاطعه (ممدوح) :

ـ أريد الذهاب إلى (سويسرا) ، وليس إلى (فرنسا) .

وليد :

ـ (سويسرا) ؟.. ولكن لماذا ؟

ممدوح :

ـ سأسعى للقبض على الجاسوس الهارب .

وليد :

ـ ولكن كيف سيمكنك هذا ؟.. من المحتمل أن يتخذ طريقه إلى (أسترتان) ، قبل أن تبلغ أنت (سويسرا) .

ممدوح :

ـ ومن المحتمل أن ألحق به هناك فى (سويسرا) .. علينا أن نحاول على الأقل ، فسأشعر بالنَّدم والتقصير ، لو لم يلقَ هذا الخائن جزاءه .

وليد :

ـ ولكن مهمَّتك تقتصر على الحصول على اسم الجاسوس ، والباق من اختصاص المخابرات المصرية .

ممدوح :

ـ كلنا نعمل لهدف واحد ، وهو الحفاظ على أمن الوطن ، وحمايته من الخونة والعملاء ، أمثال هذا الجاسوس ، وأنا أصرُّ على إكمال ما بدأته .. فقط ابذل جهدك لتهريبى إلى (سويسرا) .

هزَّ (وليد) رأسه ، مغمغمًا :

ـ سيكون هذا محفوفًا بالمخاطر ، ولكننى سأحاول .. أعِدك أن أفعل .

* * *

توقَّفت سيارة صغيرة ، من طراز (فولكس فاجن) ، فى العاشرة مساءً ، بالقُرب من الحدود الإيطالية السويسرية ،

وتوقَّفت إلى جوارها سيارة مرسيدس كبيرة ، هبط منها ضابط المخابرات (وليد) ، الذى فتح الباب الخلفى للسيارة ، وتأمّل المكان من حوله ، ثم رفع وسادة المقعد الخلفى ، كاشفًا صندوقًا سرِّيًا، يرقد داخله (ممدوح) ، عاقدًا يديه فوق صدره ، وقد أضاف بعض اللَّمسات التنكُّريَّة لوجهه . جعلته يبدو أكبر من عمره بعشر سنوات كاملة ..

وغادر (ممدوح) مخبأه ، واصطحبه (وليد) إلى (الفولكس) ، حيث تجلس سيِّدة فى الأربعين من عمرها ، مع طفل صغير ، فى المقعد الخلفى ، وقال (وليد) ، وهو يناوله جواز سفر جديد :

ــ هذا الجواز يقول إن اسمك (كمال ماروك) ، تركى الجنسية ، وأنك تصحب زوجتك وطفلك فى رحلة سياحية ، تشمل (إيطاليا) و (سويسرا) ، وبعض البلدان الأوربية الأخرى .

تناول (ممدوح) جواز السفر ، واتخذ مقعده خلف عجلة القيادة ، وهو يقول :

ــ شكرًا لكل ما بذلته من أجلى يا (وليد) .

أغلق (وليد) باب السيارة ، وهو يغمغم :

ــ أرجو لك التوفيق .

كانت الخطة ــ على الرغم من بساطتها ــ ناجحة ، واجتاز (ممدوح) الحدود السويسرية دون مشاكل ، حيث افترق عن المرأة والطفل ، وواصل طريقه بمفرده ، حتى التقى بزميله الرائد (رفعت) ، فى أحد المقاهى السويسرية ، وقد حمل إليه هذا الأخير بعض المعلومات حول (مذكور سيف الدين) ، وراح يلقيها على مسامعه ، قائلًا :

ــ الرجل لايزال هنا فى (سويسرا) فى ڤيلا صغيرة ، يملكها عميل للمخابرات الأسترتانية ، فى أحد ضواحى (لوزان) ، ولقد كان يرغب فى البقاء فى (سويسرا) ، بدلًا من السفر إلى (أسترتان) ، ولكن الأسترتانيين أوضحوا له خطورة هذا على حياته ، وعلى أمنهم ، بما لديه من معلومات عنهم ، ويبدو أنهم قد هدَّدوه أيضًا بالقتل ، لو لم يصحبهم الليلة إلى (أسترتان) .

ممدوح :

ــ إذن فسيسافر الليلة .

رفعت :

ــ فى تمام الحادية عشرة مساءً .

ممدوح :

ــ علينا أن نعمل سريعًا إذن .

رفعت :

ــ ألديك خُطَّة معيَّنة ؟

ممدوح :

ــ بالطبع .. اسمع ..

وشرح له خُطَّته كلها ..

* * *

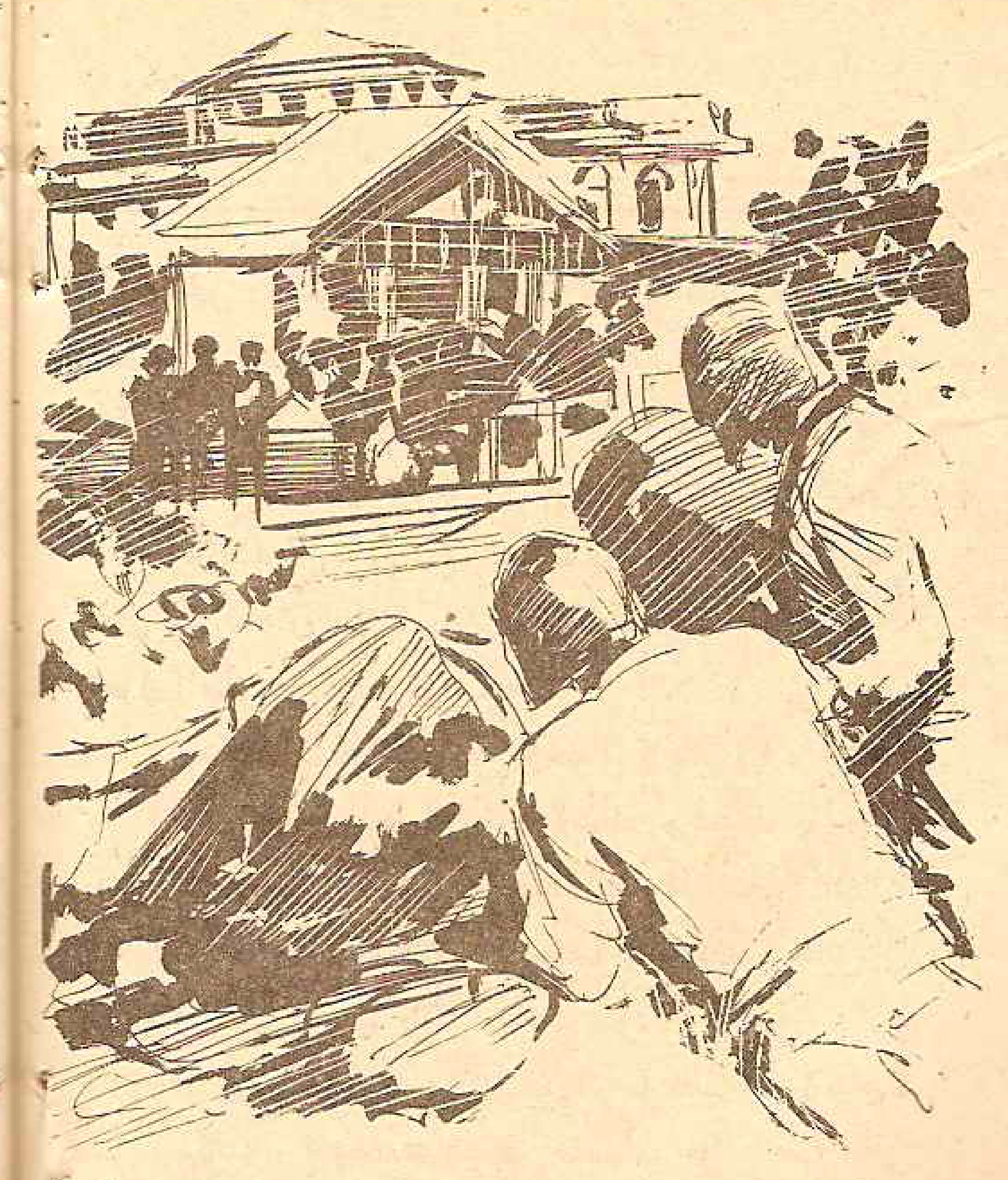


١٢ ــ الخُدعة ..

تسلَّل (ممدوح) و (رفعت) عَبْرَ المنحـــدر الجبلى الصغير ، الذى يطلُّ على الڤيلَّا ، وقد ارتدى كل منهما سُترات جلدية خضراء ، تتناسب مع لون الطبيعة المحيطة بهما ، وأخفَى وجهه بقناع لا تبدو منه سوى العينين ، وفتحتى الأنـف ، وفحص (ممدوح) المكان من بعيد بمنظاره المقرِّب ، واستطاع أن يلمح الرجال الثلاثة ، المدجَّجين بالسلاح ، الذين يجوِّلون حول الڤيلا ، والتفت إلى (رفعت) ، قائلًا :

ــ من الواضح أنهم يحيطونه بحماية لا بأس بها .

زحف الاثنان وسط الطبيعة الخضراء ، وامتزجا بها ، حتى اقتربا كثيـرًا من الڤيـلَّا ، ولاحـظ أحـد المسلَّحين الثلاثة اهتزازات العُشب غير الطبيعية ، فصوَّب مدفعه الرَّشاش إلى نقطة الاهتزاز ، وهمَّ بإطلاق النار ، ولكن (ممدوح) برز فجأة من بين الأعشاب ، وأطلق على الرجل طلقة مخدِّرة خاصة من مسدَّسه ، لم تكد تستقر فى جسد الرجل ، حتى أطلق شهقة مكتومة ، ثم سقط فاقد الوعى ..



تسلّل (ممدوح) و (رفعت) عَبْرَ المنحدر الجبلى الصغير ، الذى يطلّ على القيلّا ، وقد ارتدى كل منهما سُترات جلدية خضراء ..

وتكرَّر الموقف نفسه مع الرجلين الآخرين ، ثم تخلص (ممدوح) و (رفعت) من سُتراتهما الجلدية ، وعالج (رفعت) باب القيلّا بآلة خاصة ، حتى فتحه ، ودلف إلى الداخل ، فى حين تعلّق (ممدوح) بنافذة منخفضة ، فى الجهة الأخرى من القيلّا ، وعالج رتاجها بدوْره ، وعَبَرَهَا إلى داخل القيلّا ، حيث كان أحد رجال المخابرات الأسترتانية يستحثّ الجاسوس المصرى ، للإسراع بإعداد حقيبته ، والذهاب إلى المطار ؛ ليستقلّ الطائرة إلى (أسترتان) ..

وفى نفس اللحظة اقتحم (رفعت) المكان ، وشهَرَ مسدّسه هاتفًا :

ــ ارفعا أيديكما عاليًا .. سأطلق النار عند أدنى حركة .

وتقدَّم نحو الرجلين ، قائلًا للجاسوس المصرى :

ــ أظننت يا (مدكور) أن المخابرات المصرية ستسمح لك بالإفلات منها ، بهذه السهولة ؟ لقد خُنْت وطنك ، وستعود إليه ، لتحاكم على ما فعلت .

حاول رجل المخابرات الأسترتانى استغلال فرصة انشغال (رفعت) ؛ ليستلّ مسدّسه ، ويطلق عليه النار ، ولكن (رفعت) انتبه إلى ذلك ، فأسرع يطلق النار على رجل

المخابرات ، ويرديه قتيلًا ، ولم يكد (مدكـــور) يرى ما حدث ، حتى انهار تمامًا ، وراح يرتجف هاتفًا :

ــ لن أُقاوم .. أُقْسم لك .. سأنفِّذ كل ما تطلبه منّى ، ولكن لا تقتلنى .. أرجوك .

فى هذه اللحظة هبط (ممدوح) من الطابق العلوى للفيلّا ، وأطلق رصاصتين فارغتين نحو (رفعت) ، الذى أدَّى دوره جيِّدًا ، فأطلق صرخة قصيرة ، وجحظت عيناه ، ثم هَوَى أرضًا ، وهو يضغط كيسًا صغيرًا تحت سترته ، تفجَّرت منه الدماء ، وبدا لمن يراه وكأنما قتله (ممدوح) ، الذى هبط إلى حيث يقف (مدكور) فى ذِرْوَة فزعه ، وقال :

ــ أتصوَّرت أننا سنتركهم يأخذونك بهذه السهولة .

سأله (مدكور) فى ذُعر :

ــ من أنت ؟

ممدوح :

ــ أنا (راق ويلهام) ، ضابط مخابرات أسترتانى .

مدكور :

ــ ولكننى لم أَرَك هنا من قبل .

ممدوح :

ــ كنت أُقيم بالفيلّا سرًّا ؛ للتدخُّل وإنقاذك ، فى حالة حدوث أمر غير متوقَّع ، وسأصحبك أنا إلى (أسترتان) .. هيَّا .. أحضر حقيبتك واتبعنى .

اصطحبه (ممدوح) إلى السيارة التابعة للمخابرات الأسترتانية ، ولم يكد يبتعد بالسيارة ، حتى نهض (رفعت) ، ورفع سمَّاعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًّا ، وقال :

استعدّ يا (عادل) .. (ممدوح) يصطحب العميل إلى المطار الآن .. أكل شىء على ما يرام ؟

أجابه محدِّثه :

ــ نعم ، ولكن صاحب الطائرة الخاصة يطلب أربعين ألفًا من الجنيهات ..

رفعت :

ــ امنحه ما يريد .. إنها فرصتنا الوحيدة لإعـــادة (مدكور) إلى (القاهرة) .. قُلْ لى : هل أبحرت باخرة الشحن ، من الميناء السويسرى ؟

عادل :

ــ نعم ، وهى تقترب الآن من المياه الدولية .

رفعت :

ــ حسنًا .. سألحق بكما فيما بعد .

وأنهى المحادثة ، وهو يستطرد فى خُفوت :

ـ إنها لُعبتك الآن يا (ممدوح) .. وفَّقك الله .

* * *

اتجه (ممدوح) ، بسيارة المخابرات الأسترتانية ، إلى مطار صغير ، فسأله (مدكور) فى قلق :

ـ إلى أين نتجه ؟.. ليس هذا طريق مطار (برن) .

أجابه (ممدوح) :

ـ لقد أبدلنا الخُطَّة ، فالمخابرات المصرية تراقب مطار (برن) ، وتسعى لاصطيادك بأى ثمن ؛ لذا فسنستقلّ طائرة خاصة ، يمتلكها مليونير أسترتانى .

غمغم (مدكور) فى قلق :

ـ طائرة خاصة ؟!

ممدوح :

ـ إنها أكثر الوسائل أمنًا ، للانتقال إلى (أسترتان) ، فى الوقت الحالى .

أوقف (ممدوح) السيارة ، بالقرب من ممرِّ الإقلاع ، حيث لوَّح لهما قائد الطائرة ، من كابينة القيادة ، فأمسك (ممدوح) يد (مدكور) ، وأسرعا يركضان نحو الطائرة ،

وقفزا داخلها ، وأغلق شخص ما الباب خلفهما ، ثم حلَّقت الطائرة فى السماء ، واسترخى (ممدوح) فى مقعده ، فى حين ظلَّ (مدكور) متوتِّرًا لا يشعر بالارتياح ، والتفت إلى (ممدوح) ، يقول :

ـ أرجو أن أنال ما أستحقُّه من تقدير فى (أسترتان) ، نظير خدماتى .

صوَّب إليه (ممدوح) مسدَّسه، الذى يحوِى الرصاصات المخدِّرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نعم يا (مدكور) .. ستنال ما تستحقّه تمامًا .

أطلَّ الفزع من عينيى (مدكور) ، وأطلق شهقة قوية ، والرصاصة المخدِّرة تستقر فى صدره ، ثم سقط على مقعده فاقد الوعى ، ونهض (ممدوح) من مقعده ، يسأل الطيَّار :

ـ هل اقتربنا من الهدف ؟

أجابه الطيَّار :

ـ نحن نحلِّق فوق البحر الآن ، وسنبلغ باخرة الشحن المصرية بعد قليل .

لم تمضِ إلا دقائق ، حتى أشار الطيَّار إلى جسم متحرِّك ، فوق البحر ، قائلًا :

— ها هى ذى السفينة .. إننا فوق المياه الدولية الآن .

خفَّض من ارتفاع الطائرة وسرعتها ، وراح يُحَوِّم حول الباخرة ، حتى تلقَّى منها إشارة ضوئية خاصة ، فابتسم لـ (ممدوح) ، قائلًا :

— الآن يمكننى أن أقول وداعًا .. وأرجو أن نلتقِى قريبًا فى (القاهرة) .

سأله (ممدوح) :

— ماذا ستفعل الآن ؟

الطيَّار :

— سأعِيد الطائرة إلى صاحبها ، فلقد حصل على تأمين ضخم ، لضمان استعادتها ، بخلاف الأربعين ألف دورلا ، التى حصل عليها مقابل المهمَّة .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— المهم أن نجاح المهمَّة يستحق المبلغ .

وربط (ممدوح) الجاسوس بحبل قوى ، وأدلاه — فاقد الوعى — إلى الباخرة ، حيث حمله عدد من الرجال إلى قرار الباخرة ، فى حين هبط (ممدوح) إلى سطحها ، بوساطة سلم من الحبال ، ووقف يلوِّح للطيَّار بيده ، وهو يبتعد بالطائرة ، وصافح رجل (ممدوح) قائلًا :

— حمدًا لله على عودتك سالمًا يا سيادة المقدَّم .. لقد أدَّيت عملًا بارعًا من كل الوجوه .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— أشكرك يا سيادة العميد (حسين) .

قال العميد (حسين) :

— كانت خُطَّتك بارعة ، للقبض على الجاسوس ، وإحضاره إلى الباخرة .

ممدوح :

— لولا هذا لواجهنا متاعب وصعوبات عديدة ، مع السلطات السويسرية ، حتى يمكننا نقله إلى (القاهرة) .

العميد (حسين) :

— لقد أصابنا فراره من (القاهرة) بخيبة أمل حقيقية ، ولم أكُن واثقًا فى نجاح خُطَّتك فى الواقع ؛ لذا فقد أتيت بنفسى ؛ لمتابعتها عن قُرب .. أما الآن ، وقد أصبح الجاسوس بين أيدينا ، فَلَا يَسَعُنِى إلا أن أعرب لك عن مدى إعجابى وتقديرى للجهد الرائع ، والبطولة الفذَّة ، التى قمت بها لإنجاح المهمَّة ، ولست أدرى كيف أعبِّر لك عن ذلك عمليًّا ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

ــ هذا أمر بالغ البساطة .. يكفى أن تأمر رجالك بإعداد وجبة شهية ، وفراش وثير ، فأنا أشعر بمزيج مخيف ، من الجوع والتعب .

ضحك العميد (حسين) ، وقال :

ــ سيكون لك ما أردت .

وفى صباح اليوم التالى ، كان (ممدوح) فى طريقه إلى مقرّ عمله ، بإدارة العمليات الخاصة ، استعدادًا لمهمّة جديدة ، فى حين كانت إجراءات محاكمة الجاسوس تقترب من نهايتها ، ومن نهاية الصراع ..

(صراع الجواسيس) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

صراع الجواسيس

وبعد أن أجتاز الرجل ثلاث عربات من القطار القديم ، بلغ عربة متهالكة ، محطَّمة السقف والمقاعد ، وراح يبحث بين مقاعدها المتهالكة عن (ممدوح) وفجأة ، انقض عليه بطلنا من السقف المفتوح كالصاعقة ، وطرحه أرضًا ..

المؤلف



ا . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

٤٩

العدد القادم

سماء الخطر

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم